الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⴹ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

المفارقة في أدب السّجون رواية "بيت خالتي" لأحمد خيري العُمري أنموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

- **كاهنة مسعودي.**
- **سيهام قاري.**

إشراف الأستاذ:

- أ/د. رابح ملوك

لجنة المناقشة:

1. أ/ د. فيروزرشّام	جامعة البويرة	رئيسا
2. أ/ د. رابح ملوك	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3. د. عادل صيّاد	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2025-2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى من كانوا السّند والدّافع، إلى عائلتي، أهدي هذا العمل.

إليكم أحبّتي، كنتم خير الرّفيق في كلّ لحظة.

كاهـــنـــة.

الحمد لله الذي وفّقنا، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، أمّا بعد، أهدي تعبي ونجاحي هذا إلى:

من انحنى ظهره ليستقيم ظهري، إلى من كنت أجري إلى حضنه هاربة من تعب الدّنيا، إلى شهيد العمل صاحب الرّوح الطّاهرة، إليكَ أبي، رحمك الله.

المرأة الحديديّة التي هي أساس سعادتي وطبيبتي النّفسيّة، إلى منبع الثّقة والأمان، إليكِ أمّي، حفظك الله لي.

زوجي ونصف ديني وحبيب قلبي، دون أن أنسى أختاي وأخي، أنتم سندي وروحي.

ســـهـــام.

مقدمة

تعدّ الرّواية الإطار الفنّيّ المناسب لطرح جميع القضايا الفكريّة، والإنسانية، والاجتماعية، ومن ثمّ فهي قالب يخوض من خلاله الكاتب في العديد من الموضوعات. وبما أنّ الرّواية جنس أدبيّ يتّصف بالمرونة، فإنّها قادرة على رصد أحوال الشّعوب، وطرح قضايا المجتمعات بشكل فنّيّ مناسب، وبالتالي ستكون مرآة عاكسة لكلّ ما يحدث في البلاد، من أوضاع سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة.

هذا ما ينطبق على اتجاه أدبي هو "أدب السّجون"؛ الذي ينقل لنا صرخات كلّ شخص راح ضحيّة نظام سياسيّ فاسد، ينقل لنا ما يعيشه كلّ مسجون داخل سجنه من تعذيب، وقهر، وذلّ، وسلب للكرامة.

أدب السّجون كان ولازال مَنفذًا لكل مسجون كُبّل بقيود نظام وحشيّ، وشعب خانع ظالم، ذلك المُعتقَل الذي عاش حالة شعوريّة استثنائية، يترنّح فيها بين الألم والأمل، بين الحزن والفرح، بين الخوف والشّجاعة. وفي هذه التّناقضات تتجسّد المفارقة بأوضح صورها، والمفارقة ما هي إلّا أسلوب فنّي يعمل على كشف زيف المظاهر، وإبراز التّناقض بين الأحداث أو المواقف، وبالتّالي ستُثار دهشة المتلقّي وسيُعمِل تفكيره من أجل بلوغه الحقيقة.

عادة ما يَعتمد كُتّاب أدب السّجون أسلوب المفارقة في سردهم لأحداث قد تنجم عنها متابعات قضائية، إذ إنّ كشف ما يجري داخل السّجون يُعتبر جريمة. ويمكن أيضا لأسلوب المفارقة أن يعكس حالة الاغتراب التي يعيشها كلّ مسجون، ذلك الاغتراب الذي ينشأ كنتيجة حتمية للعجز، والقلق، وفقدان الأمل، وهذه المشاعر وغيرها يعاني منها كلّ من اعتُقِل، ولا ندرك ذلك إلّا من خلال قراءتنا لأدب السّجون، فهو يحيط بكلّ هذه الجوانب.

ولهذا اهتدينا إلى أن يكون العنوان الأنسب لدراستنا هو "المفارقة في أدب السّجون"، والمدوّنة التي تناسب هذا الموضوع هي رواية "بيت خالتي" لـ "أحمد خيري العمري". لم يكن اختيارنا لهذه الدّراسة والمُدوّنة اعتباطيّا، فما دفعنا للخوض فيها عدّة أسباب؛ ذاتيّة وموضوعيّة، نذكر منها:

- الدّافع الدّيني؛ فهذا هو واجبنا نحو إخواننا المسلمين واقتداءً بسنّة نبيّنا محمّد، صلى الله عليه وسلّم، الذي يقول: "من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (رواه مسلم)، فعندما رأينا المنكر الذي يحدث لإخواننا لم نستطع السّكوت، واتّخذنا لغة القلم سلاحا لنذكر الظّلم الذي كان يحدث لهم في سجون "الأسد".
- نُقص الدّراسات حول أدب السّجون، خصوصا في الرّواية.
- اختيارنا لموضوع المفارقة كان بُغية التغيير من دراسة البنية السّرديّة المعتمدة من قِبل الطّلاب في كلّ بحث أكاديمي.
- انحصار الدّراسات المتعلّقة بالمفارقة على الشّعر والقرآن (المفارقة الشعرية، والمفارقة القرآنية)، لذلك أردنا إبراز جوهر المفارقة في الرّواية أيضا.

جاء بحثنا تحت عنوان "المفارقة في أدب السّجون، رواية بيت خالتي لأحمد خيري العُمري أنموذجا"، وقد انطلقنا فيه من إشكاليّة رئيسيّة مفادها: هل المفارقة وسيلة فنّية يعتمدها الكاتب في سرد أحداث روايته، أم غاية يسعى من خلالها إلى استثارة المتلقّي وحصره في زاوية الغموض؟ وأتبعناها بعدّة أسئلة أخرى حاولنا الإجابة عنها في خِضَمّ دراستنا، نذكر منها:

- كيف ينشأ أدب السّجون؟
- كيف تمثّلت المفارقة في أدب السّجون؟

- كيف ساهمت المفارقة في إبراز التّناقضات في رواية "بيت خالتي"؟
- ما العلاقة بين المفارقة والاغتراب في الرّواية؟
- كيف أثّرت تجربة السّجن على شخصيات رواية "بيت خالتي"؟

وللإجابة على هذه التّساؤلات قمنا بتقسيم بحثنا إلى ثلاثة أقسام؛ مدخل نظري، وفصلين جمعنا فيهما بين النّظري والتّطبيقي. جاء المدخل بعنوان: "دراسة مفاهيميّة"، وقد تطرّقنا فيه إلى مفاهيم عامّة حول السّجن، وأدب السّجون، والمفارقة، والاغتراب، وحدّدنا من خلاله محدّدات المفارقة، ومسبّبات الاغتراب.

حمل الفصل الأوّل عنوان "تجلّيات المفارقة في رواية بيت خالتي"، أشرنا من خلاله إلى نوعين من المفارقة هما: "المفارقة اللّفظيّة" و "المفارقة الموقفيّة"، تعرّفنا من خلال الأولى على العمق الدّلالي لبعض العبارات داخل رواية "بيت خالتي" التي تبدو من الوهلة الأولى عادية، وأوّلها عنوان الرّواية، وبعد تحليلنا للرّواية اهتدينا إلى معناها الحقيقي. أمّا بالنّسبة إلى الثّانية فقد أبرزنا من خلالها ثنائيّات ضدّية، اتّضح عن طريقها موقف كل طرف.

أمّا عن الفصل الثّاني الذي عنونّاه بـ "السّجن والنّزعة الاغترابية في رواية بيت خالتي"، فقد سلّطنا الضّوء فيه على الحالة النّفسيّة التي آلَت إليها شخصيات رواية "بيت خالتي"، جرّاء ما عاشوه داخل السّجون، وصنفنا ذلك في كل من: الاغتراب الاجتماعي، والاغتراب النّفسي، والاغتراب السّياسي، والاغتراب المكاني. وبعدها تطرّقنا إلى "المشاعر النّاتجة عن الاغتراب" وهي: العجز، وفقدان الأمل، وصدمة الوعي. أمّا خاتمة هذه الدّراسة فكانت عبارة عن نتائج لكل ما سبق.

منهجيّا اعتمدنا على المنهج "الموضوعاتي" كونه الأنسب لدراسة يجتمع فيها موضوع السّجن، والحرّية، والموت، والحياة، والاغتراب. واستعنّا كذلك بـ "النقد النفسي" في تحليلنا للحالة الشّعوريّة التي آلت إليها شخصيات رواية "بيت خالتي".

أمّا بخصوص الدّراسات السّابقة لهذه المدوّنة؛ فبحكم أنها حديثة الإصدار (صدرت سنة 2020)، فإنّنا لم نجد دراسات سابقة حولها، وقد حاولنا من خلال هذه الدّراسة إبراز الدّلالات الدّفينة من خلال أسلوب المفارقة.

ارتكزنا في هذه الدّراسة على مجموعة من المصادر والمراجع، لعل أهمها كتاب "أدب السّجون لشعبان يوسف"؛ الذي تعرّفنا من خلاله على الإطار العام لأدب السّجن. كما استعنّا بمقال حول المفارقة لـ "نبيلة إبراهيم" بعنوان "المفارقة"، وآخر لـ "سيزا قاسم" بعنوان "المفارقة في القصّ العربي المعاصر"؛ وقد ساعدانا في تحديد مفهوم المفارقة، وأنواعها. أمّا بالنّسبة للاغتراب فقد استندنا إلى كتاب "دراسة في سيكولوجيّة الاغتراب لعبد اللّطيف محمّد خليفة". لكنّ هذا لا يعني أنّ باقي المراجع تقل أهمّية عن التي ذكرناها، فلولاها لما وُفّقنا في بحثنا هذا.

وفي الختام، وبعد حمد لله تعالى الذي أعاننا ووفقنا لإكمال بحثنا، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين. وبعد، نتقدّم بأسمى عبارات الشّكر لكلّ من كان عونا لنا في إتمام عملنا هذا، ونخص بالذكر أستاذنا "رابح ملوك" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيّمة النّيّرة. والله، عزّ وجلّ نسألُ التوفيق والسّداد.

مدخل نظري: دراسة مفاهيميّة.

1. السّجن.
2. أبعاد السّجن.
3. أدب السّجن.
4. المفارقة.
5. الاغتراب.

يُعدّ أدب السّجون رافدا من روافد الأدب العربي خصوصا في العصر الحديث؛ ذلك لأنّه من المصادر التي عمّقت البُعد الإنسانيّ لدى كاتبها وقارئها في الوقت ذاته، فكاتبها لن يخوض في هذا الجنس الأدبي إلّا وقد شعر بعمق التّجربة السّجنية، وقارؤها حتما سيلمس المعاناة التي عاناها السّجين داخل سجنه. وفي هذا المقام سنتعرّف على مفهوم السّجن وأبعاده التي تؤثّر على نفس الإنسان، وكذا المفارقة التي اعتُمدت كأسلوب فنّي للخوض في هذا الجنس الأدبي، وأيضا الاغتراب الذي هو نتيجة طبيعيّة لكلّ ما يعيشه السّجين.

1. السِّجن:

من المعروف أن السّجن موجود منذ القدم، وهو غالبا ما يكون غرفة ضيّقة يُحبس فيها المُجرم عقابا على ما فعله من شرّ. والسّجن في شريعتنا الإسلامية هو جزء من التّعزير، والذي يُعْرف بأنه «مجموعة من العقوبات تبدأ بالنّصح والوعظ والعزل عن الولاية، وتنتهي بأشد العقوبات، كالحبس والجلد»[1]. وقد وردت كلمة "السّجن" في القرآن الكريم في عدة مواضع، مثلا في سورة يوسف، حيث يقول تعالى: «... مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»[2]، وهذا حين أغوت امرأة العزيز، يوسف عليه السّلام. وأيضا في موضع آخر من نفس السّورة، حين قال تعالى على لسان يوسف: «قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ...»[3]. كذلك حين فسّر رؤيا

1 – الشّيخ علوي بن عبد القادر الشّقاف وآخرون، الموسوعة الفقهية، موقع الدّرر السّنية على الإنترنت dorar.net، 1433هـ، ص255.

2 – سورة يوسف، الآية 25.

3 – سورة يوسف، الآية 33.

السّجينين الذَيْن كانا معه، قال تعالى: «وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ ...»[1]. وغيرها من المواضع التي ذُكر فيها السّجن، والتي تدلّ على سلب الحرّية.

السّجن منذ الأزل دليل على التّنكيل، والحرمان من الحرّية، والابتزاز، والتّعذيب، وعزل الإنسان عن المجتمع. فهو «تعويق الشّخص ومنعه من التّصرف بنفسه»[2]، فكأنّما وُضع أمام حاجز يحجز عليه حرّيته. «والمسجون مُقيّد الحرّية تماما، لأنه قد أُبعد عن أهله ومعارفه، ومُنع من مباشرة أمواله، فلا يجتمع مع أهله إلاّ بالضّرورة، ولا يباشر تصريف أمواله، ولا يُمكّن من الخروج لتأدية العبادات وغيرها من الواجبات»[3]. ومن هنا نتفق على أن السّجن عقاب قاسٍ تتوقّف فيه حياة الإنسان الطّبيعية، وحقوقه البسيطة، وعن طريقه تتشكّل وسائل التعذيب.

2. أبعاد السّجن:

لا يُمكن اعتبار السّجن مُجرّد مكان للتّعذيب، أو لِاحتجاز الأفراد بين جدران ضيّقة فقط، بل هو فضاء يحمل أبعادا مُتعدّدة، ووسيلة للقمع والتّعذيب، وهذا ما يترك آثارا نفسيّة تهدم الإنسان. ومن هذه الأبعاد ما يلي:

1.2 التّعذيب:

يُمكن القول إنّ أولى مراحل التعذيب تبدأ بتغييب وسائل النظافة داخل أسوار السّجن، فانعدام النّظافة يصل إلى حد الإصابة بالأمراض الجسدية، مثل السّل، والجدري، وغيرها. وبعد هذا

1 – سورة يوسف، الآية 36.

2 – محمد بن عبد الله الأحمد، حكم الحبس في الشريعة الإسلامية، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير، كلّية الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة بمكّة المكرّمة، جامعة الملك عبد العزيز، السّعوديّ، 1979، ص11.

3 – نفسه، ص12.

يأتي الضرب المبرح بالعصيّ، على مناطق محدّدة في جسم الإنسان. انتهاءً بالصّعق بالكهرباء، والتّعليق، والاغتصاب. ويُبرّر السّجّانون معاملتهم هذه للسّجناء تحت مُسمى التّحقيق، وغالبا ما لا تدرّ بنتيجة، «فيُمارس السّجان من ضروب العنف والتضييق وضراوة الاضطهاد، ما يملأ قلب سجينه حقدا»[1]، فيصل بذلك لأعلى درجة من القهر.

غالبا ما تكون هذه الأساليب من التّعذيب بدون غاية، إلاّ من أجل كسر عزيمة المسجون، وقطع الأمل في نجاته. وكلّ أساليب التعذيب المتّبعة تكون مدروسة وممنهجة، كي يمتد الجرح إلى نفس الإنسان لا في جسمه وحسب. ويصل التّمادي بالمُعتقِلين إلى أن يُشغّلوا آيات قرآنية أثناء عمليّة التّعذيب، كي ينُقصوا من إيمان المسجون.

2.2 القمع:

يبدأ القمع من خلال حرمان السّجين من أدنى حقوقه، مثل الطّهارة، والوضوء، والصّلاة. ومن أبرز تجليات القمع «تغييب الآخر معنويا وماديّا، بحذفه من خلال الاغتيال، أو بتكميم فمه، وأيضا من خلال حصاره ماديّا ونفسيّا، وبسجنه وقطع موارد رزقه. إن القمع حالة مركّبة، وهذه الحالة وإن بدت صغيرة، وتحمل معنى الدّفاع عمّا هو قائم، أو لتبرير الموقف في مرحلة معيّنة، إلاّ أنّ استمرارها والتّراكم الّذي يحصل لها، إضافة إلى التناقضات في المصالح والأفكار، يجعلها تكبر وتزداد اتساعا وعنفا»[2]. من وسائل القمع أيضا، اعتماد سياسة التّجويع لأيّام، وعند حضور الطّعام يهيج السّجناء، ويصل بهم الوضع إلى ضرب بعضهم البعض من أجل كسرة خبز.

---

1 – أحمد مختار البرزة، الأسر والسّجن في شعر العرب "تاريخ ودراسة"، مؤسّسة علوم القرآن، ط1، دمشق، بيروت، 1985، ص514.

2 – عبد الرّحمن منيف، رأي وشهادة حول القمع، مجلة فصول، ع3، 01 يوليو 1992، ص185.

3.2 البعد النّفسي:

يُحدث السّجن شرخا عميقا في أنفس المسجونين، فعندما تُسلب الحرّية من الشّخص يُصبح بلا هدف، مجروح النّفس، مكسور الجناحين. فأغلب السّجناء الذّين أُخلي سراحهم يحتاجون إلى متابعة نفسية، وكلّ التعذيب الذي مرّوا به، لا يمكن أن يمرّ دون أن يُحدث مضاعفات نفسية، أشهرها الوسواس القهري، متلازمة ستوكهولم، الحسرة، اضطرابات ما بعد الصّدمة، الاغتراب عن المجتمع، وغيرها. وتمتدّ تلك الآثار النفسيّة إلى المجتمع، فالأفراد هم مكوّنات المجتمع، وبالتّالي يبقى ذلك الشخص دائما في حلقة نفسية متذبذبة، تنعكس سلبيّا على المجتمع.

كلّ هذه الآثار التي يُخلّفها السّجن، سواءً نفسيّة أو جسديّة، فإنّ صاحبها يُحاول الفرار منها، والتّشبّث في أيّ وسيلة تُنقص ولو القليل من معاناته، ومن بين تلك الوسائل، الكتابة. والنّوع الأدبي الذي تندرج ضمنه هذه الكتابات هو أدب السّجن. فما المقصود به؟

3. أدب السّجن:

شغل أدب السّجن مساحة واسعة في الأدب العربي، والمقصود بهذا الأدب هو تلك النصوص التي كتبها معتقَلون مرّوا بتجربة السّجن[1]، أو كُتبت نيابة عنهم من قِبل أشخاص استمعوا لأولئك المعتَقلين بعد أن فُرّج عنهم، وحاولوا أن يوصلوا صوتهم الدّفين منذ زمن، إلى أسماع العالم، والكشف عن حقائق يُصدم كلّ من استمع لها.

وبما أن الرّواية هي الجنس الأدبي الذي يُمكنه أن يسَع المجتمع بكلّ محمولاته، فإن أدب السّجن قد وجد مساحته فيها، ولمّا «اعتمدت الرّواية أسلوبا للتعامل في هذه الحياة، وجدنا أنّ ظاهرة

1 – يُنظر: شعبان يوسف، أدب الّجون، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2014، ص12.

القمع من أبرز القضايا التي تحتلّ حياتنا»[1]، فلم يكن لهذه القضايا سبيل للطّرح إلّا من خلال الرّواية. لكنّ هذا لا ينفي أن للشّعر نصيبا من أدب السّجن، إذ «تزخر كُتب الشّعر بمُقطّعات السّجناء وقصائدهم، وهي متنوعة حسب مقاصد مألِّفيها... ولو وصلت أمثال هذه الكتب غير منقوصة لكان حصاد السّجن منها وفيرا»[2]. ولهذا السّبب صرّحنا بأن الرّواية هي الجنس الأدبي الذي يَسع معاناة السّجناء.

تُعدّ الكتابة في أدب السّجن «من روافد الأدب العربي الحديث، أسهم فيه بدرجات متفاوتة، رجال ونساء، وليبيراليون، وشيوعيون، وإسلاميون، وأفراد لم ينتموا لأيّ من هذه الاتجاهات السّياسية، وكُتّاب مهمتهم الكتابة، وكُتّاب كان نصّ السّجن هو نصّهم الوحيد. وتشمل هذه الكتابات... شهادات لا حصر لها ومقابلات»[3] مع أسرى عاشوا تجربة السّجن بكل تفاصيلها، وكلّ ساعاتها التي مرّت عليهم مثل الجحيم. إذن، فالكتابة في أدب السّجن عبارة عن نقل أحداث وأعمال إجرامية في حقّ الإنسانية، ووسيلة يعبّر بها السّجين عن ذاته، محاولا بذلك إيجاد سبيل للفرج.

حين يتعرّض الإنسان للسّجن فإنّه يُسلَب كامل حرّيته، لا جسد يتصّرف به، ولا نفسيّة يتحكم بها، جسده وروحه طوع أمر آسره، فيصير الموت أقصى أمنياته، لكن يبقى بصيص أمل نحو الحرّية، وهو الكتابة، الكتابة التي يجد فيها حُرّيته الّتي فقدها في واقعه، الكتابة التي تسمح له بالتعبير عن آلامه وآماله دون قيد. ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار أدب السّجون المنفذ الوحيد الذي يرى من خلاله المعتقَل حرّيته، وفي هذه النقطة تحديدا تكمن المفارقة، فكيف يمكن للقيد والحرّية أن يجتمعا تحت غطاء واحد!، فما المقصود إذا بالمفارقة؟

---

1 – عبد الرّحمن منيف، رأي وشهادة حول القمع، ص186.

2 – أحمد مختار البرزة، الأسر والسّجن في شعر العرب "تاريخ ودراسة"، ص388–390.

3 – شعبان يوسف، أدب السّجون، ص11.

4. المفارقة:

المجتمع عموما مبني على مجموعة من التّناقضات، بل إنّها جزء لا يتجزّأ من حياة الإنسان، وكذلك الأمر بالنسبة إلى السّجن؛ إذ هو عبارة عن صراع بين القيد والحريّة، والظّلم والعدالة، فأدب السّجون يكون جامعا لكل هذه التناقضات التي تُحدث مفارقة.

تقتضي الدّراسة أوّلا البحث عن أصل الكلمة الأجنبية، إذْ اختُلِف في ترجمتها، حيث نجد من يقول إنّ "المفارقة" ترجمة للمصطلح "Irony"، في حين هناك من يقول إنّها ترجمة للمصطلح "Paradox"، فالأولى تعني "المفارقة"، والثانية تعني "النّقيضة". و«المفارقة "Irony" ... في اللّغات الأوروبيّة مشتقّة من الكلمة الإغريقية "إيرونيا"، التي تفيد "التّظاهر" أو "الادّعاء"، وهي صفة شخصية في الكوميديا الإغريقية بِاسم "آيرون" وتفيد المُفرِق، أي الذي يفرّق بين المظهر وواقع الحال»[1]. ارتبط هذا المفهوم بالمسرحيات الإغريقية والتّمثيل.

أما بالنّسبة إلى مصطلح "Paradox" فيعني النّقيضة، وهي «من المحسّنات البلاغية، عبارة يبدو على ظاهرها أنّه يناقض باطنها، لكنّها تقوم على أساس صحيح يجمع بين النّقيضين»[2]، أي أنّها تقنية تقوم على الجمع بين فكرتين متناقضتين ظاهريا، وبالمقابل نجد أنها تحمل عُمقا في المعنى.

تشير "نبيلة إبراهيم" إلى أنّ المفارقة «لغة اتصال سرّي بين الكاتب والقارئ، وهي قد تكون جملة، وقد تشمل العمل الأدبي كلّه»[3]، وهي أيضا عبارة عن «تعبير لغويّ بلاغي، يرتكز أساسا

---

1 – دي.سي.ميوك، موسوعة المصطلح النقدي "المفارقة، المفارقة وصفاتها، التّرميز، الرّعويّة"، المجلّد الرابع، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسّسة العربية للدّراسات والنشر، ط1، بيروت، 1993، ص144.

2 – نفسه، الصفحة نفسها.

3 – نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، ع3–4، 01 سبتمبر 1987، ص132.

على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر ممّا تعتمد على النّغمية أو التّشكيليّة. وهي لا تنبع من تأملات راسخة ومستقرّة داخل الذّات، فتكون بذلك ذات طابع غنائي أو عاطفي، ولكنّها تصدر أساسا عن ذهن متوقّد، ووعي شديد للذّات بما حولها»[1]، أي أنّ منتج المفارقة يكون على قدر كبير من الوعي بالموضوع الّذي يخوض فيه.

من هذا المنطلق يمكن القول إنّ المفارقة تقوم على فكرة التّناقض، «فالمفارقة لعبة لغوية ماهرة وذكيّة بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحو يُقدِّم فيه صانع المفارقة النّص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه لرفضه بمعناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفيّ الذي غالبا ما يكون المعنى الضّد. وهو في أثناء ذلك يجعل اللّغة يرتطم بعضها ببعض، حيث لا يهدأ للقارئ بال إلاّ بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقر عنده»[2]. إذن اكتمال المفارقة لا يتم بمجرّد صناعتها، وإنّما حين يتلقّاها القارئ وكيف يتعامل معها.

بما أنّ المفارقة لعبة لغويّة بين صانعها وقارئها، فبالتّأكيد سيصعب الاِهتداء إلى سبيلها من الوهلة الأولى، لذلك وضعت "نبيلة إبراهيم" محدّدات لها، تمثّلت في أربعة عناصر هي:

أوّلا: «وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد؛ المستوى السّطحي للكلام عل نحو ما يُعبَّر به، والمستوى الكامن الذي لم يُعبَّر عنه، والذي يُلحّ القارئ على اكتشافه إثر احساسه بتضارب الكلام كأنّه أشبه بزوبعة مثارة لا يَعرف مصدرها، ولكن فيه من التّلميحات ما يكفي لأن يشدّه إلى

1 – نبيلو إبراهيم، المفارقة، ص132.

2 – نفسه، الصفحة نفسها.

تعرية المستوى الكامن للكلام»[1]، أي أنّ للقارئ دورا في تشكيل المفارقة، حين يسعى للبحث عن المستوى الكامن للمعنى.

ثانيا: «لا يتمّ الموصول إلى إدراك المفارقة إلّا من خلال إدراك التّعارض أو التّناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنصّ»[2]، وهذا يعني أن المفارقة ليست مجرّد تعارض في الأفكار، وإنّما حتى الأساليب يمكن أن ترِد متعارضة، وهذا ما يُوَلّد لدى القارئ اندهاشا وإثارة.

ثالا: «غالبا ما ترتبط المفارقة بالتظاهر بالبراءة، وقد يصل الأمر إلى حد التظاهر بالسّذاجة أو الغفلة»[3]، والغاية من ذلك هو إخفاء نيّة مُبطنة.

رابعا: «لابدّ من وجود ضحيّة في المفارقة. وقد تكون "أنا الكاتب"، وقد تكون الضحيّة الـ"أنت" أو "الآخر"...، وأيّا ما كانت هذه الشّخصية، فهي ضحية متّهمة وبريئة»[4]، أي أن يكون في العمل الأدبي شخصية تشترك في البراءة والاتهام في الوقت ذاته، وهذا مكمن المفارقة.

ولعلّ هذه العناصر الأربعة هي التي تساعد على الفهم الصّحيح للمفارقة، واستيعاب طريقة عملها، لتخلُق بذلك جوّا من الإثارة لدى المتلقّي. وبالنّظر إلى المفارقة، نجد فيها ما ارتبط باللّفظ، ونجد ما ارتبط بالصّورة، وما ارتبط بالموقف أيضا. وكلّ نوع منها يخدُم جانبا مُعيّنا.

---

1 – نبيلة إبراهيم، المفارقة، ص133.

2 – نفسه، الصفحة نفسها.

3 – نفسه، الصفحة نفسها.

4 – نفسه، الصفحة نفسها.

بالعودة إلى أدب السّجون، نجد أنّ مواضيعه يشوبها القلق والخوف في آن واحد، فيصبح لدى شخصيات العمل الرّوائي إحساس بالانفصال عن الذّات والمحيط، وكذلك الإحساس بالغربة، وهذا ما يُطلق عليه الاغتراب، فما المقصود به؟ وماهي مسبّباته؟

5. الاغتراب:

ارتبط المفهوم اللّغوي للاغتراب بالغربة، «فنقول: تغرَّب واغترب بمعنى هو غريب، واغترب فُلان أي تزوّج إلى غير أقاربه»[1]، وهذا المفهوم يُعبّر عن الرّحيل، أو الانتقال، أو الابتعاد عن المكان المُعتاد. وبالنّظر إلى مفهومه الاصطلاحي، مُحددين في ذلك الامتداد الدّيني، نجد أنه ارتبط بنزول آدم عليه السّلام من الجنّة إلى الأرض، فتلك هي أولى مشاعر الاغتراب[2].

والاغتراب من الظّواهر التي تسود عصرنا، وهي تقوم على رفض الواقع المعيش فِكريّا واجتماعيا، وهو «انسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال عن التّلاؤم، والاخفاق في التّكيّف مع الأوضاع السّائدة في المجتمع، واللّامبالاة، وعدم الشّعور بالانتماء، بل وأيضا انعدام الشّعور بمغزى الحياة»[3]. وشعور الاغتراب يتولّد لدى الإنسان نتيجة رفضه لواقع انعدمت فيه الإنسانية. وهذا أمر طبيعي، إذ لا أحد يستطيع أن ينتمي فكريّا إلى ظروف قاسية، يطغى فيها الظّلم، والفساد، وانعدام الحرّية.

---

1 – الرّازي أحمد أبو بكر، مختار الصّحاح، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، 1986، ص197.

2 – يُنظر: عبد الّطيف محمد خليفة، دراسة في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للنشر والتّوزيع، (د.ط)، القاهرة، 2003، ص19.

3 – نفسه، ص21.

ومن هذا المنطلق يمكن القول إنّ المجتمع وظروفه، يؤثران على نفسيّة الإنسان، ويُولّدان لديه حالة اغتراب، ومن بين مُسبّباته ما يلي:

أسباب نفسيّة[1]: وتتمثّل في:

- الصّراع بين الدّوافع والرّغبات المتعارضة، وبين الحاجات التي لا يمكن إشباعها في الواقع.
- الإحباط نتيجة فشل الفرد في تحقيق الرّغبات الأساسية، أو الحاجات الخاصة بالفرد، ينتج الإحباط بالشّعور بخيبة الأمل والفشل، والعجز التّام.
- الحرمان؛ حيث يمثّل الفرصة الضّائعة لتحقيق الدّوافع، أو إشباع الحاجات، كما في حالة الحرمان من المأوى، والغِذاء، أو الحرمان من التربية والتّعليم.
- الخبرات الصّادمة؛ وهي التّجارب التي تُحرّك العوامل الأحرى المُسبّبة للاغتراب.

هذه الأسباب تعود بالدّرجة الألى على الفرد وحالته النّفسيّة، إذ إنّ كل الخيبات التي يمرّ بها تُوَلّد لديه حالة الاغتراب.

أسباب اجتماعية[2]: من أهمّها:

- ضغوط البيئة الاجتماعية، والفشل في مقابلة هذه الضغوط.
- الثقافة المريضة التي تسود فيها عوامل الهدم والتّفكك.
- فقدان الحلول السّريعة، وعدم تّوافر القدرة النّفسية على التّوافق معها.
- استبدال القيم الاجتماعية التي تُفسّر الاضطرابات في الأسرة، والمدرسة، والمجتمع.

---

1 – سناء حامد زهران، إرشاد الصّحة النفسيّة لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، عالم الكتب، (د.ط)، القاهرة، 2004، ص107.

2 – نفسه، الصفحة نفسها.

- مُشكلة القلق، والتي تنشأ عن التّفاعل الاجتماعي والإجراءات الاجتماعية السّلبيّة.

إذن، تنعكس البيئة الاجتماعية على الفرد إن لم يتقبّلها، ولم يتقبّل القيم السّائدة فيها، ليُصبح بذلك الفرد متفككا، ومغتربا عن ذاته، ومجتمعه.

أسباب سياسية:

من بين مسبّبات الاغتراب لدى الفرد، ظلم النّظام والأحكام المطلقة من قِبل الدّولة، التي لم يعد الإنسان قادرا على التّكيّف معها، بل وأصبح «الشّعب نفسه خادما للدّولة بدل أن تكون هي خادمة للشّعب، وإلى حدّ جعل المُواطنين بحاجة إلى من يحميهم من النّظام الحاكم، بل يبدو وكأنّ الدّولة أصبحت بحاجة إلى مواطنين تحكمهم، على عكس ما هو مفترض»[1].ولهذا فإنّ تلك الأنظمة القمعية، والأحكام الجائرة، هي المسبّبة لحالة الاغتراب لدى الفرد.

استنادا لما سبق، نصل إلى أنّ الاغتراب ليس مجرّد انفصال مكاني، وإنّما هو رفض لجميع الظّواهر التي تسود المجتمع، ويمكن أن يصل معها الفرد إلى احتقار الذّات، والشّعور بفقدان الهوّيّة، والضّياع.

في الأخير، وبالنّظر إلى "السّجن"، و "المفارقة"، و "الاغتراب"، نجد أن هذه المصطلحات تلتقي جميعا في تجربة الإنسان البشعة في الحياة، من عُزلة، وانفصال، ومعاناة. فالسّجين يُمكن أن يعيش بفكر متحرّر رغم قيد السّجن، والإنسان الحرّ، يمكن أن يكون مقيّد الفِكر نتيجة اغترابه عن مجتمعه، وهنا تحدث المفارقة، التي يأتي أدب السّجون للتعبير عنها في قالب أدبي.

---

1 – حليم بركات، الاغتراب في الثّقافة العربية "متاهات الإنسان بين الحُلم والواقع"، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، بيروت، 2006، ص92.

الفصل الأول: تجلّيات المفارقة في رواية بيت خالتي.

1. مفارقة لفظية:

1.1 المستوى الدّلالي.

2.1 المستوى البديعي.

2. مفارقة موقفيّة:

1.1 مفارقة المظهر والحقيقة.

2.1 مفارقة المحايدة والثّورة.

3.1 مفارقة السّجن والحرّية.

4.1 مفارقة الموت والحياة.

تندرج رواية "بيت خالتي" ضمن أدب السّجون، لما فيها من تصوير للتّعذيب حدّ الموت، والتّنكيل، والقمع، الذي يتعرض له المواطنون السّوريّون الرّافضون لنظام الرّئيس المخلوع "بشّار الأسد". وقد جاءت رواية "بيت خالتي" النّموذج الأمثل لتصوير كلّ ذلك التّعذيب، والجرم في حق الإنسان، ووظّف الكاتب ذلك الواقع، محاولا بذلك إظهاره للعالم وتغييره من خلال توظيفه للمفارقة، واستعمل من أجل ذلك المفارقة اللفظية، والمفارقة الموقفية. فما المقصود بكلّ واحدة منهما؟ وكيف تجلّت في الرّواية؟

1. المفارقة اللّفظيّة:

بما أنّ المفارقة عبارة عن ظاهرة تتحدى الفهم المباشر، وتدفع إلى التّفكير العميق لفهم مغزاها، فالمفارقة اللّفظية جزء منها، إذ «ينشأ تعقيدها نتيجة لعمليّة سَكّها encoding، وحلّها decoding، ذلك لأنها تشتمل على دال واحد، ومدلولين إثنين: الأول حرفي ظاهر وجليّ، والثّاني متعلق بالمغزى، موحى به، خفي»[1]، وبالتّالي هي تحتاج إلى إعمالٍ للعقل والتّفكّر، من أجل بلوغ حقيقة الأمر، فهي تقوم على «الغموض والازدواجية الدلاليّة التي تُعدّ أساسيّة في طبيعتها»[2]، لا على المباشرة.

إذن، يمكن القول إنّ المقصود من المفارقة اللّفظية، هو إيراد معنى معيّن بمعنى آخر، ومن أجل بلوغ حقيقة الأمر وُجب التّركيز على جميع الجوانب، وهي ليست مجرّد ألغاز أو تناقضات سطحية، وإنما هي حقائق يصعب الوصول إليها من مجرّد شخص يفكّر بشكل سطحي. وقد تجلّى هذا النّوع في الرّواية في عبارات مختلفة.

1- سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، ع2، مجلة فصول، 01 مارس1982، ص144.

2 - نفسه، الصفحة نفسها.

وقد ارتأينا في هذا المقام أن نقسّم المفارقة اللّفظيّة إلى مستويين، مستوى دلالي اعتمدناه كآليّة من آليات التّحليل الأسلوبي للكشف عن المعاني التي تحملها الكلمات والتّراكيب. وكذا مستوى بديعي؛ يتّم فيه دراسة الدلالات انطلاقا من أساليب بلاغية.

1.1 المستوى الدّلالي:

نتطرّق في هذا المستوى إلى الأبعاد الدّلاليّة لعبارتي "بيت خالتي"، و "الكرسي الألماني"، كونَهما تكرّرتا بشكل لافت في الرّواية.

أوّلا: "بيت خالتي":

هي عبارة تظهر في عنوان الرّواية، وكذلك في صلبها، وإذا قرأها القارئ للمرّة الأولى، فإنّ أوّل ما يمكن أن يخطر بباله هو بيت خالته الحنون، التي تُعتبر الأم الثّانية. وربما لقارئ متمكن أن يستخلص بعض الأفكار التي يمكن أن تبقى راسخة في ذهنه، كأن يكون قد رأى في بيت خالته شيئا في صغره وكَتَمه حتى كبِر ثم فضح الأمر، أو أنه خبّأ شيئا هناك. أو ربّما بيت خالته ذلك يحمل العديد من الذّكريات المختلفة. ولكن لا شيء ممّا ذكرناه يحيل إلى معناها الحقيقي، فحقيقتها مُراوغة، ولا تمتّ بصلة لبيت الخالة، ولا علاقة لها بالخالة نفسها.

"بيت خالتي" في حقيقة الأمر تعني "السّجن"، فعندما اضطربت الأوضاع في سوريا عن طريق المعارضين باحتجاجهم في المظاهرات، ما كان الرّد لهم إلّا قمعا، وسجنا، وقتلا. ولهذا وصل الحدّ من الخوف لدى السّوريين أنّهم لم يستطيعوا التلفظ بكلمة "السّجن"، أو "فُلان اعتقِل"، والعبارة البديلة هي "فلان ذهب إلى بيت خالته"، وكان هذا التعبير شائعا بين أفراد المجتمع.

ظهر هذا التّعبير في نصّ الرّواية في عدة مواضع، نذكر منها: «كانت النّاس تختفي فجأة، تكفّ عن الحضور إلى العمل صباحا، أو لا تأتي إلى دروسها، وجامعاتها، ولا تفتح مصالحها. أين فُلان؟ أين فُلان؟ كان النّاس يتساءلون همسا، لكن لا أحد كان يقول "اعتقلوه"، لأن حتى هذه الكلمة أصبحت مخيفة، مجرّد نطق كلمة المُعتَقَل أصبح شرّا يُنصح بتجنّبه»[1]، ولذلك اختار السوريون عبارة "بيت خالتي" للتخفي وراءها.

بيت خالة السّوريين «يتصدّر، ربّما دون منافسة كبيرة، قائمة أسوأ معتقلات العالم بحسب البي بي سي، الجارديان أسمته "أكثر مكان مُرعب في العالم". منظّمة العفو الدّوليّة تسمّيه "مسلخ البشر"»[2]، وهذه التّسميات تُعتبر بسيطة، مقارنة لما يحدث في داخل هذه السّجون، من حرمان، وتنكيل، وتعذيب، وتجريد من الإنسانية، «فقد تحوّلت التّقارير التي ترصد حالات التّعذيب في بيت الخالة إلى "كتالوغ التّعذيب"، حسب وصف منظّمة العفو»[3]، وهذا كله بسبب كثرة التعذيب داخله.

عندما يقرأ شخص ما أدب السّجون، يبقى دهشا أمام ما قرأه، ويتساءل ما إن كان لهؤلاء السّجّانين حياةً خارج المُعتقل، هل يمكن أن يعيشوا مثل أي شخص عادي؟! هل يملكون قلبا أو القليل من الإنسانية؟! والمخيف أنهم فعلا يعيشون حياةً عادية، فهم يفصلون بين التّعذيب والقتل، والحياة اليومية، وهذا على حدّ قول أحد المُعتقَلين وهو يُعَذَّب، قاطع عمليّة التّعذيب تلك رنين هاتف المحقّق، وكان ابنه المُتّصِل، فتكلم معه بحماس الأب مع ابنه[4]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على انفصام في شخصية السّجّانين.

1 – أحمد خيري العُمري، بيت خالتي، عصير الكتب للنّشر والتوزيع، ط1، 2020، ص247.
2 – الرّواية، ص247
3 – الرّواية، الصفحة نفسها.
4 – يُنظَر: الرّواية، ص 301.

أساليب التّعذيب المستعملة في سجون "بشّار الأسد"، لا يمكن أن تخطر على بال بشر؛ إذ إنّ «كلّ ما أفرزته البشريّة من شرور وبشاعات، يُمكن أن يتمثّل في هذه الأساليب التي أصبحت علامة لبيت الخالة في سوريا...، وبيت خالة السّوريين هو نسخة مُحدَثة من أوشفيتز»[1]، القطار النّازي لإبادة اليهود.

انطلقت السّجون السّورية في وسائل تعذيبها من السّجون النّازية، وقد طوّرت منها، وهذا ما وضّحه "أحمد خيري العُمري" في هذه الرّواية، فالسّجون السّوريّة لم يكفها التعذيب الذي مارسته، بل بحثت عن أساليب جديدة مُستعينة بـ "ألويس برونر"، الضابط النّمساوي المشهور بإبادة اليهود، فقد كان من كبار الضّبّاط عند "هتلر"، والمسؤول عن اختراع شاحنات الغاز التي سبقت إنشاء أفران الغاز في معسكرات الاعتقال، وقد جمع العديد من اليهود من مختلف أنحاء العالم. هذا المجرم هرب إلى سوريا واستضافه النّظام، شرطَ أن يُعلّمهم جميع خبراته في التعذيب، «وهذه النّقطة التي جعلت من بيت خالة السّوريّين يصبح أوشفيتز مع كل التحديثات التي تجعله أسوأ»[2]، وبالرّغم من أن معتقلات النّازيين معروفة عالميا ببشاعتها وإجرامها، إلّا أنها اختلفت عن سجون "الأسد"، فالأولى كانت تقوم على قتل الإنسان مباشرة، أما الثانية فتقوم على تعذيب الشّخص، وتحرص على تركه على قيد الحياة، «فبيت خالة السّوريين أصبح مصنعا للقهر، والذّل، وتجريد البشر من إنسانيتهم»[3].

استفادت السّجون السّورية من خبرات السّجون النازية، وطوّرت منها، فلكي يقتل الإنسان إنسانا آخر، عليه أن يتخلّى عن إنسانيّته ويتجرّد منها، فحسب «ليفنغستون، المشترك الأهم في كلّ هذه الحملات هو ما يُسمّيه "Dehumanization" والتّرجمة الحرفيّة للكلمة هي "التّجريد من

1 – الرّواية، ص 248.
2 – الرّواية، ص 250.
3 – الرّواية، الصفحة نفسها.

الإنسانيّة"، ولكن المعنى الذي يقصده ويتحدّث عنه هو اعتبار الفئة المستهدَفة أقلّ من بشر، حيوانات أو حشرات مضرّة»[1]. وتقتضي هذه السّياسة غرس فكرة خبيثة في عقول السّجّانين، فيرَون السّجناء على أنّهم جراثيم، «ليس هذا صدفةً، بل جزءا من نمط تاريخي ممهّد لما سيحدث لاحقا، القوارض، الصّراصير، الكلاب، الفئران، كلّها أوصاف استخدِمت لتبرير وتسهيل الإبادة القادمة»[2].

يبدأ التّعذيب في "بيت خالة السّوريّين" من تجريد المُعتقَلين من أسمائهم فيُشار إليهم برقم، تماما مثلما حدث مع اليهود، «هذا الدّرس النّازي طُبّق في بيت خالة السّوريّين بحذافيره»[3]. والأفظع من هذا كلّه، أنّ المساجين عندما يخرجون من المعتقَل يُعاملون بالطّريقة نفسها، يُعاملون على أنهم "لا شيء"، أحيانا لأنهم مع النظام، وأحيانا أخرى بسبب الخوف من النظام ذاته، فيُبدون بذلك عداءهم للمُعتقَلين النّاجين كعلامة إخلاص لـ "بشّار الأسد".

قصص التّعذيب البشعة التي لا تكاد تُصدّق هي الشّاهد على نظام "بشّار" الظّالم، والخضوع له، فكان الهدف الأول هو تعذيب المساجين، وإخراجهم إلى المجتمع كشيء لا كإنسان، وبهذا يخاف المسجون أن يعارض مرة أخرى، وكذلك عائلته ومعارفه. إنّ أهداف السّجون السّورية، كما ذكرنا سابقا، مختلفة عن أهداف السّجون النّازية، «المشترك هو التجريد من الإنسانية، لكن الهولوكوست ينتقل إلى الإبادة، بيت خالة السّوريّين يذهب إلى الهدفين، ترويع الباقين، وتحطيم المساجين»[4]، بحيث يعيش المساجين في خوف دائم، حتى وإن كانوا في منازلهم.

1 - الرّواية، ص265.
2 - الرّواية، ص271.
3 - الرّواية، ص 270.
4 - الرّواية، ص292.

بناءً على ما سبق، نلاحظ أن جميع المعتقَلين يشتركون في فكرة واحدة وهي ألّا ينسوا ما حدث لهم، «لم أنس، لا أريد أن أنسى، وأتمنى ألا ينسى أحد، النّسيان خيانة»[1]، وأيضا «يجب أن نتكلم... يجب أن نتكلّم ونقول ما يحدث»[2]. كلّ المساجين الذين عُذّبوا ذكروا ما حدث معهم كردّ فعل على إسكات "بشّار" لهم، ولو لم يفضحوا تلك البشاعة التي مرّوا بها، لما وصلت الحقيقة إلى أسماعنا. وهنا يتجلّى دور أدب السّجون في إبراز تلك الصّراعات النّفسيّة.

إفشاء سرّ من أسرار السّجن إلى العالم جريمة لا مثيل لها بالنّسبة "لبشّار"، وبسبب الخوف من السّلطات المسؤولة يلجأ الكاتب للمفارقة لأنها «اتّصال سرّي بين الكاتب والقارئ»[3]، فهي لعبة مراوغة، لا ينجح فيها إلاّ الكاتب المتمكّن، وهذه الرّواية التي بين أيدينا خير مثال على هذا، فعنوانها يستثير القارئ ليتساءل عن معناه وعن رمزيّته، ويدعوه إلى رفض المعنى الحقيقي لتلك الكلمات، والبحث عن المعنى الدّفين له، وهذا ما واجهنا خلال قراءتنا لعبارة "بيت خالتي"، فالمعنى سيبقي دفينا في طيّات الكتاب، إن لم تسُقنا رغبة في البحث عن المعنى الخفيّ للعبارة.

ثانيا: الكرسي الألماني:

من بين المفارقات اللفظية التي شدّت انتباهنا في الرّواية أيضا، هي عبارة "الكرسي الألماني"، فللوهلة الأولى تبدو لنا العبارة رمزا للسّلطة، أو الحُكم، أو الرّقيّ والحضارة، فألمانيا من البلدان المعروفة بتقدّمها، وتطوّر وسائل عيشها، وإذا صادفنا عبارة "الكرسي الألماني" فمن البديهيّ أن يذهب تفكيرنا إلى الصّراع حول السّلطة، أو القوّة، والطّموح لبلوغ عرش الولاية.

1 – الرّواية ص 221.

2 – الرّواية، ص 303.

3 – نبيلة إبراهيم، المفارقة، ص132.

وبالعودة إلى سياق الرّواية، نجد أن للعبارة بُعدا آخرا، بُعدا يكسر كرامة الإنسان وشخصيته، هو كُرسيّ يجعل الإنسان في أدنى درجة، اعتمده الضّباط كوسيلة تعذيب للأسرى السّوريين في السّجون والمُعتقلات، «الضّباط كانوا يُسمّونه (الكرسي) فقط، لكنّ المعتقلين كانوا يعرفونه باسم الكرسي الألماني. هو كرسيّ بمسند ظهر متحرّك، يمكن أن يُثنى إلى الأمام، أو الخلف، ننبطح أرضا على بطوننا، ثمّ يُوضع الكرسي فوقنا، وتُسحب أيادينا إلى الخلف، وتُمرّر بين قُضبان المسند وتُوثق، وتُوثّق أقدامنا أيضا لمنعها من الحركة، ثم يبدأ ثني المسند إلى الخلف بحركات شديدة متكرّرة بحيث تضغط على فقرات العمود الفقري على بعضها، الضغط الأكبر يكون على العنق على نحو يجعلك غير قادر على الصّراخ أو التّنفّس»[1]، من خلال تصريح هذا المعتقَل عن كيفيّة التّعذيب بهذه الوسيلة، اتّضح المعنى الدّفين لعبارة "الكرسي الألماني".

إضافة إلى ذلك التّعذيب الجسدي الذي يُحدثه "الكرسي الألماني"، وآثاره الراسخة في جسم الإنسان، فإن الألم النّفسي هو الأكثر ضررا وتأثيرا على الشّخص المُعذَّب، وهذا بتصريحٍ من أحد المعتقَلين: «أُصِبت بشرخ في الفقرات السّفلية جرّاء الكرسي الألماني، شرخ بسيط قابل للالتئام مع الوقت.. لكنّ الشّرخ النّفسي الذي أصابني غير قابل للالتئام»[2]. كذلك التّعذيب بهذه الوسيلة يُزيل البسمة من على وجه الإنسان، حيث «كان هناك رجل حمصي أربعيني يُشيع البهجة في المكان، ويتحدّث مع الجميع ويحرص على تقوية معنويّات المنكسرين...، ذات يوم أخبروه أنه سيخرج بعد أيّام وأصبح في منتهى الفرح والنّشاط بسبب ذلك، في اليوم الموعود نادوه وودّعنا...، ثم عاد وقد

1 – الرّواية، ص148.

2 – الرّواية، ص149.

تبيّن أنهم عذّبوه بالكرسي الألماني...، لم يرغب في الحديث عما جرى، وانزوى ولم يعد يتحدّث مع أحد، وانقطع عن الصّلاة»[1].

التّعذيب بالكرسي الألماني يطفئ الرّوح ويُخفي الضّحكة والبهجة من وجوه النّاس، فبالرّغم من كونهم معتقَلين، وأنّهم محصورون بين أسوار السّجن من جهة، وطرق التّعذيب من جهة أخرى، إلاّ أنّ بعضا منهم كان يحمل ذرّة أمل في نفسه ينشر بها طاقة إيجابية وسط كل السّلبيات المحاطة بهم، لكن بمجرّد المرور بتجربة "الكرسي الألماني" سيختفي كلّ ذلك، حتّى يُمكن أن يصل بالمُعتقَل أن يُحسّ بالذّنب حتّى وهو معتقَل، فيكره الإنسان ذاته أكثر فأكثر، وهذا على حدّ قول أحد المعتقَلين: «تحت الكرسي الألماني اعترفت بأسماء أصدقائي الذين شاركوا في المظاهرات، وبقي هذا الأمر مؤلما حتى الآن، كلّما تذكّرت أنّي قد تسبّبت لم بالتّعذيب»[2]. التّعذيب بالكرسي الألماني يُشعِر الإنسان المُعذَّب بالخيانة، بالرّغم من أنّه وشى بأصحابه رغما عنه.

ساعد المستوى الدّلالي في الكشف عن الدّلالات الخفيّة في المفارقة اللّفظية، في كلّ من عبارة "بيت خالتي" وعبارة "الكرسي الألماني"، فالمفارقة اللّفظيّة يمكن أن تكون مفارقة دلاليّة؛ تظهر بدال معيّن ثمّ تفاجئنا بمدلولها المُعارض لدالّها تماما. إذْ إنّ عبارة "بيت خالتي" توحي بالعطف والحنان، لكنّ حقيقتها قسوة وجفاء. كذلك عبارة "الكرسي الألماني" ظاهرها حُكم وسلطة، وباطنها عنف واحتقار. عموما المفارقة اللّفظيّة وسيلة فنّيّة تحدث إثارة في التّفكير.

1 – الرّواية، ص145–146.

2 – الرّواية، ص148.

2.1 المستوى البديعي:

هو مستوى يشتغل على الأساليب البلاغية، فتظهر المفارقة فيه عن طريق أسلوب التّهكّم والتّورية[1]. وفي هذا المستوى نجد مفارقات لفظية في الرّواية.

أوّلا: أسلوب التّهكّم:

يُحيل التّهكّم لغويّا إلى «التهدّم. يُقال: تهكّمت البئر، إذًا تهدّمت، وتهكّم عليه إذًا اشتدّ غضبه، والمتهكِّم المحتقِر. قال أبو زيد: تهكّمت غضبت، وتهكّمت تحقّرت، وعلى هذا يكون المتهكّم لشدّة الغضب قد أوعد بالبشارة، أو لشدّة الكِبر، أو لتهاونه بالمخاطَب قد فعل ذلك، فهذا أصله في الاستعمال»[2]. إذًا التّهكّم هو إيراد أسلوب ما في غير سياقه بغرض الاستهزاء.

ورد هذا الأسلوب في الرّواية في عدة مواضع، نذكر منها ما جاء على لسان "أيوب الشّامي" أحد المعتقَلين: «سألني المحقّق إذا كنت أعاني من متاعب صحّية معيّنة، فقلت له لديّ متاعب مزمنة في الجيوب الأنفيّة. فكان جوابه: اطمئن. سنضبِطها لك»[3]. عبارة "اطمئن سنضبطها لك" تبدو للوهلة الأولى عاديّة، لكنها استُعملت في غير محلّها، وجاءت بأسلوب تهكّم واستهزاء، ووعيد، وما جاء بعد تلك العبارة أبشع، إذْ يقول المعتقَل: «علّقوني من أنفي بالشّنكل*. كانوا يضعون طرفه الحاد في فتحة أنفي، ثمّ يسحبونه بالتدريج حتّى أرتفع عن الأرض...، تهشّم أنفي تماما وأُصيب بجرثومة لا علاج لها. أجريت أكثر من خمس عمليات في فرنسا الآن حيث أُقيم كلاجئ، ولا علاج

---

1 – يُنظر: أحمد عادل عبد المولى، بناء المفارقة "دراسة نظريّة تطبيقية، أدب ابن زيدون نموذجا"، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2009، ص114.

2 – تقي الدّين أبو بكر الأزراري، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت، 1987، ص215.

3 – الرّواية، ص96.

*– الشّنكل أو الجنكل: الخطّاف أو الكُلّاب المعدني الذي تعلّق فيه الذّبيحة في محلات الجزّارة، واللّفظ تركي ويعني مخلب في الأصل، هامش رقم 1 في الرواية، ص96.

لأنفي»[1]. ظهرت المفارقة اللّفظية هنا من خلال القول الذي قيل، والفعل الذي طُبّق، حيث جاء مغايرا له تماما.

موضع آخر ورد فيه مفارقة لفظيّة بأسلوب التّهكم، وذلك في عبارة "حفل الاستقبال". عادة ما يكون حفل الاستقبال مليئا بالفرح والسّرور وقمّة التّرحيب، وحتى يُمكن أن يكون استقبالا بالورود، أو قِطع الحلوى مثلا، لكن حفل الاستقبال الوارد في رواية بيت خالتي عبارة عن تعذيب لا غير ذلك، «حفل الاستقبال كان يتم دون تحقيق، فقط ضرب وتعذيب»[2]. أَطلق عليه المعتقَلون هذا الاسم لأنّه إجراء روتيني في كلّ مرّة يتمّ فيها اعتقال أفراد جدد، ويستمتع المعتقِلون بفعلهم الشّنيع، يقول "قتيبة إدلبي" أحد المعتقَلين: «الطّماشة* على عيني فلم أكن قادرا على الرّؤية تمام لكنّها لم تكن مُحكمة تماما لذا تمكّنت من تحديد عددهم من الأحذية حولي. وهناك حدث ما عرفته لاحقا أنّه (حفل الاستقبال).. رقص العناصر الدّبكة فوقي. وضربوني بعصيّ وسياط كانت بأيديهم»[3]. بالنّظر إلى عبارة "حفل الاستقبال" نجد أنها منافية تماما لما حدث، وفي هذا تظهر المفارقة اللّفظية بأسلوب تهكّم واستهزاء.

ثانيا: أسلوب التّورية:

التّورية هي الأخرى من الأساليب البلاغية، تكون حاملة لمعنيين، أحدهما قريب، والآخر بعيد، فالمعنى القريب يكون حاملا لدلالة قديمة، أما المعنى البعيد، فيتشكّل معناه الجديد حسب

1 – الرّواية، ص96.

2 – الرّواية، ص115.

*– الطّماشة: عصابة من قماش توضع على العينين وتُلفّ على الرّأس بحيث تمنع الرّؤية، هامش رقم 1 في الرّواية، ص100.

3 – الرّواية، ص212.

السّياق[1]. وهذا ما وجدناه في الرّواية مُتمثّلا في عبارة "بساط الرّيح"، ففي هذه العبارة تورية، إذ نستحضر معناها القديم المتمثّل في القصص والأساطير القديمة. لكن معناها الجديد تشكّل حسب سياق الرّواية، فهو الآخر وسيلة تعذيب اعتمدها ضُبّاط المعتقلات السّورية أثناء تعذيبهم للمعتقَلين، يقول كذلك "قتيبة إدلبي": «... بعض الأجوبة كانت تستفزّهم فيضربون على نحو أشدّ، سألوني عن الجامعة التي أدرس فيها، فلمّا عرفوا أنها في درعا وضعوني في الدّولاب، وصاروا يدحرجون الدّولاب في الممرّ ويضربونني في أثناء ذلك...، جلبوا بساط الرّيح* وربطوني عليه ثم أخذوا يضربونني على رأسي وقدمي في الوقت نفسه»[2]. من خلال شهادة هذا المُعتقَل، اتّضح لنا المعنى الجديد لعبارة "بساط الرّيح"، الذي تعرىّ من معناه القديم المتعلّق بالأساطير، ولبس ثوب التعذيب.

غالبا ما تُستعمل المفارقة اللّفظيّة لغرض تعميق المعنى في النّص الرّوائي، فاعتماد تعبير مناقض يثير الانتباه ويشدّه، وبالتّالي يُثار تفكير المتلقّي ويدفعه للاستمرار في القراءة والبحث عن مكمن الحقيقة الدّفينة. كذلك جاءت المفارقة اللّفظية في هذه الرّواية لغرض السّخرية والاستهزاء، فيُقال غير ما يُقصد، بنيّة التّقليل من شأن الآخر ووضعه في زاوية التّحقير.

2. المفارقة الموقفيّة:

لم تقف المفارقة على كونها أداةً بلاغيّة فحسب، وإنما تطوّرت «وأصبحت موقفا واستراتيجية معيّنة يتّخذها الأديب خاصّة إزاء الواقع الذّي يعيش فيه»[3]، ولتحقيق هذا الموقف يحتاج الكاتب

---

1 – يُنظر: أحمد عادل عبد المولى، بناء المفارقة، ص127،128.

*– بساط الرّيح: أداة تعذيب معروفة، مؤلّفة من قطعتي خشب متّصلتين ولكن يمكن طيّهما من المنتصف، تُربط الأطراف السّفلى بالخشبة السّفلية، والأيدي بالخشبة العُلوية، ثم تطوى بحيث يصل الرّأس بالقدم، ويُضرب المعتقَل على رأسه وقدميه في الوقت نفسه وهو "مطوي"، هامش رقم 1 في الرّواية، ص213.

2 – الرّواية، ص212،213.

3 – سامية محرز، المفارقة عند جيمس جويس وإيميل حبيبي، عيون المقالات، ع2، 1أبريل 1986، ص105.

لدهاء، والقارئ إلى أن يكون مُلمّا وواعيا بموقف الكاتب، لأن هذه المفارقة تعتمد أساسا على الأحداث، وعلى المستوى الإيديولوجي، وإذا لم يفهم القارئ هذه المعاني فلن يرى الشّيفرة ولن يُدرك التّناقض، حينها يُصبح ضحيّة للمفارقة، فيخلق موقفا يتماشى مع سذاجته وبراءته، «وهذه الشّخصية هي كبش الفداء الذي يُضحّي به الكاتب حتى لا يكون هو نفسه ضحيّة للمفارقة»[1].

وعلى هذا فإنّ الاختلاف الواقع بين المفارقة اللفظية، والمفارقة الموقفية يكمن في «أن الأولى تعتمد في كشف حقيقتها أوّلا على صاحب المفارقة. أما المفارقة السّياقية (الموقفية)، فإنها تعتمد على المراقب أو القارئ في استنباط وكشف التّعارض بين المعنى الظّاهري والمعنى الخفيّ»[2]. فلا تكون المفارقة الموقفيّة ظاهرة للعيان، ولا متقابلة، وإنّما تحتاج لقراءة أجزاء النّص الرّوائي كاملة من أجل تحديدها. وبعد بحثنا الشّامل وقراءتنا لرواية بيت خالتي، وجدنا بين طيّاتها العديد من المفارقات الموقفية التي نذكر منها:

1.2 مفارقة المظهر والحقيقة:

إنّ لكلّ شيء في هذا العالم صورة واضحة نراها بعيوننا المُجرّدة، وصورة دفينة داخليّة لا تُرى، ولكن تُفهم، مثل الإنسان أحيانا؛ إذْ نرى إنسانا طبيعيا يبدو بحالة جيّدة، ولكن داخله أوجاع وآلام لا يعلمها إلّا الله عزّ وجل. وكذلك الانترنت فكلّ ما نراه أمامنا من وسائل التّواصل الاجتماعي والذّكاء الاصطناعي، لا يمثّل إلّا خمسة بالمئة من الانترنت الحقيقي، وما تبقّى منها هو سُفلي يحمل في جوفه فضائع وجرائم وتجاوزات لا تعترف بالقانون. ولروايتنا هذه أيضا مظهر خارجي، وآخر دفين.

---

1 – سامية محرز، المفارقة عند جيمس جويس وإيميل حبيبي، ص107.

2 – أحمد عادل عبد المولى، بناء المفارقة، ص136.

عند قراءتنا للرّواية هذه اكتشفنا معانٍ دفينة، جاءت على شكل مفارقة موقفية، وظهر هذا من خلال نظرة "يزن" للثّورة وسجون "الأسد"، التي كانت نظرة سطحية، مثل نظرتنا لها تماما، ومن ثَمّ الحقائق التي اكتشفناها لاحقا بفضل الشّهادات التي عُرضت، فـ "يزن" كان من جماعة «(كلّنا عايشين) و (الله يطفّينا بنوره)»[1]، والمعنى من هاتين الجملتين هو عدم دعم الثّورة، ليس لكونهم داعمين للنّظام، وإنّما لمعرفتهم بقوّة النّظام، وخوفهم من إقدامه على إحراق كل شيء. كذلك يظهر جهل "يزن" لِما يحدث من خلال ما قاله: «ثورة، أزمة، أحداث، لن نختلف في المسمّيات، اللّقب قديم ولا علاقة له بموقفي من النّظام أو الثّورة»[2]. ولكن بعد وفاة "أنس" همّ لمعرفة التّفاصيل التي يمكن أن تؤدّي به إلى الانتحار، فطلب من "نور" أن تُقدّم له بعض الشّهادات التي يُمكن أن تكون مُعبّرة عن الوضع في سوريا، وهنا بدأ يتغيّر رأيه، «طيلة سنوات كنت أتجنّب الاطلاع على شهادات كهذه، دوما كان هناك حاجز نفسيّ يحميني من ذلك. وأعتقد أن الذين لديهم موقف مثل موقفي...، كان نفس هذا الحاجز النّفسي الذي مكّنهم من الحفاظ على حيادهم»[3]. كانت هذه نقطة البداية من أجل كشف الحقيقة المُغطّاة، وبصفة "يزن" طبيبا نفسيّا أكّد صِحّة تلك الشّهادات، وبصفته سوريّا، كان على دراية بالنّظام وطبيعته ولو بشكل سطحي، لذا يقول: «لِم نختبئ خلف أصابعنا؟ أنا سوريّ وأعرف تماما ما يحدث حتّى قبل الأحداث. كلّ السّوريّين يعرفون طبيعة النّظام، كان هذا جزءا من كونك سورِيًّا»[4].

1 – الرّواية، ص53.

2 – الرّواية، ص ن.

3 – الرّواية، ص102.

4 – الرّواية، ص103.

يستمرّ "يزن" من التّعجّب من الشّهادات حتى تظهر له حقيقة النّظام، الذي كان يضنّ أنه قويّ فقط، خاصة بعد شهادة جوري، «ما قالته جوري كان يتجاوز قدرتي على التّحمّل. شعرت بعقلي يُحاول أن ينسى بعض ما قالته. شعرت بشيء في داخلي يقول لي أنت لم تسمع هذا...، يغمرني شعور بائس بتعاسة يائسة. شعرت أنّي أكره كلّ شيء. كلّ شيء»[1]. فهذه الحقيقة تظهر منذ الصفحات الأولى للرّواية، من خلال موقف نور من الثّورة، وعدم انجذابها لـ "يزن" بسبب موقفه الحيادي، إذ تقول نور: «من الصّعب جدّا على أي إنسان يملك ذرّة من الأخلاق أن يعرف ما فعله هذا النّظام ثمّ يبقى مؤيّدا له.. يمكن أن يُحاول البعض التّجاهل، الانكار، الادعاء إنّ كلّ ما يفعله النّظام مجرّد أكاذيب من أعدائه.. لكن لو عرف... يستحيل أن يبقى على تأييده»[2].

من خلال ما قدّمناه تتّضح لنا المفارقة الموقفية بين الحقيقة والمظهر، فكما قلنا سابقا، كي نفهم المفارقة الموقفية يجب علينا أن نفهم سياق الرّواية، ونفهم موقف كلّ شخص من القضيّة السّوريّة، فقد كان مظهرها يوحي فقط بالسّجن، وانعدام الحرّية في التّصرّف، كما كان يراها "يزن"، وكما كنّا نراها نحن، ولكن ظهرت لنا الحقيقة مع فيلم "أنس" وشهادات المُعتقَلين التي عُرضت من خلاله.

2.2 مفارقة المحايدة والثّورة:

نلاحظ في الرّواية مفارقة موقفية أخرى، وهي مفارقة المحايدة والثّورة، فقد قدّم لنا الكاتب صنفين من النّاس، وهما: المحايدون إزاء الثّورة، أو جماعة «الله يطفينا بنوره، والنّظام سيحرق البلد»[3].

1 – الرّواية، ص334.
2 – الرّواية، ص113.
3 – الرّواية، ص53.

والثّوّار أو جماعة «حرّية للأبد غصبا عنك يا أسد...، ويلعن روحك يا حافظ»[1]، وقد مثّل هذا الصّنف كل من "نور"، و "أنس"، و "كنان"، و "إهاب"، كلّهم كانوا ثُوّارا ودفعوا ثمن ثورتهم غاليا. إذْ إنّ "كنان" حُكِم عليه بالمؤبّد، و "أنس" انتحر من فرط الحزن والقهر من شهادات المعتقَلين التي استمع لها ورآها، و "نور" اعتُقلت وتعرّضت للاغتصاب الممنهج، حتى يُزرع الشّرخ في أعماق قلبها، ويبقى ذلك المشهد راسخا في ذاكرتها، وكان هذا دافعا كبيرا للانتقام من النظام، وذلك عن طريق محاربته، وتوعية بقيّة الشّعب من أجل مساندتهم، من خلال نشر "أنس" لفيلم يحمل شهادات الكثير من المعتقَلين.

تظهر لنا المحايدة جليّة في موقف "يزن" الأوّل من الثّورة حين قال: «أنا رمادي»[2]، وأيضا حين استغرب من اتّهام الثّوار الموجودين خارج سوريا للنّظام بأنّه المتسبّب في مقتل "أنس"، فقال بسخرية: «النّظام مسؤول عن ثقب الأوزون والاحتباس الحراري أيضا، فهو المسؤول عن انتحار أنس من باب أَولى»[3]. وأيضا حين أحسّ أنّ "نور" لا تستلطفه بسبب موقفه: «أنا الرّماديّ الذي لا موقف حقيقي له بالنّسبة لها»[4]، وليست "نور" فقط من انزعجت من موقف "يزن"، وإنّما هذا يشمل أصدقاء "أنس" الذين حضروا جنازته، ويظهر هذا حين قال: «كلّهم يعرفون أني رمادي»[5].

كذلك يظهر لنا أنّ "يزن" يُسيطر عليه الخوف والجهل مع بعض، وهما السّببان الرّئيسيّان في تشكّل موقفه من الثّورة، وظهر ذلك في قوله: «نعم النّظام وحشيّ، لكن لما تتحرّشون به وأنتم غير مستعدّين لمجابهته؟ فهو وحشيّ ومجرم، وأنتم ماذا؟ أغبياء. أغبياء وحمقى...، لماذا نتمرّد على

1 – الرّواية، ص73.
2 – الرّواية، ص39.
3 – الرّواية، ص51.
4 – الرّواية، ص66.
5 – الرّواية، ص73.

نظام بإمكانه فعل كل هذا الشّر؟ هل تتوقّعون أنّه سيسلّمها دون أن يفعل كلّ ما بإمكانه؟»[1]. وفي هذا يقف "يزن" موقف اللاّئم للثّوّار إزاء خروجهم ومطالبتهم بالحرّية، مُدَّعيا بذلك عدم استعدادهم، وبضرورة ترك النّظام على حاله رغم القهر الذي يعيشه السّوريّون.

موقف "يزن" هذا واجهه الثّوّار بالرّفض، وعلى رأسهم "نور"؛ «فالأخت ثورجيّة»[2]، وتعرّضت للتّعذيب والاغتصاب، فموقفها على النّقيض من موقف "يزن"، ودافعت عن موت "أنس" قائلة: «أنس انتحر كنتيجة طبيعية لكلّ ما فعله النّظام به وبغيره، النّظام المُتسبّب الأوّل في ذلك»[3]. دفاع "نور" عن "أنس" كان منطقيّا بالنّسبة لشخص اعتُقِل، وعاش لفترة تحت ذُل وقهر الضّبّاط، فـ "نور" التي انتحلت اسم "جوري" قد أفصحت عمّا فعل بها النّظام، وضُمّت شهادتها إلى فيلم "أنس"، التي وصفت من خلالها ذلك التّعذيب الذي تعرّضت له بكلّ شفافيّة، وبكلّ التفاصيل، ونقلت لنا حالة الذّعر التي وصلت لها، فاغتصابها كان ممنهجا ومنظّما كي يُحدث لها شرخا نفسيّا مدى حياتها، وكفيلا بأن يكسر القارئ، ناهيك عّمن مرّ بتلك التّجربة.

موقف الحياد هذا الذي طرحناه يمكن أن ينشَأ من أسباب عدّة، من بينها الخوف من النّظام، أو الجهل بما يُفعل داخل السّجون السّوريّة، أو بما يحدث داخل البلد كلّه؛ فمن يعيشون خارج سوريا لم يتعرّضوا لهذه التّجاوزات، ولم يعرفوا أحدا مرّ بهذه التّجارب، ومن الطّبيعيّ جدّا بالنّسبة لهم أن يقفوا موقف الحياد.

أمّا بالنّسبة للذين وقفوا موقف الثّوّار، كانت نهايتهم بشعة، فكلّهم زاروا بيت خالتهم، ومنهم من مات ومنهم من عاش بعذاب بقيّة حياته، مثل "لولا الأغا" التي تقول: «شاركت بمظاهرة واحدة

---

1 – الرّواية، ص103.

2 – الرّواية، ص50.

3 – الرّواية، ص51.

في حلب، لم أكن أعرف عنها مسبقا.. شاهدتها أمامي وشاركت فيها، وساعدت المتظاهرين بالماء في مظاهرة أخرى»[1]. كانت نتيجة هذه المشاركة البسيطة تعذيبا وحشيّا، فتقول: «... اعتُقلت وبعد ثمانية أيام من التّعذيب بالتّعليق والضّرب وحرق الأصابع، وُجّه لي أوّل سؤال: هل شاركت في التّظاهرات؟»[2]، كان هذا مُجرّد تمهيد لما سيحصل لها لاحقا، فقد تم اعتقال زوجها بعدها، «بعدما سمعتهم يسألون شخصا عن اسمه، فجاء صوت زوجي. "الطّماشة" كانت على عيني لكنّي ميّزت صوته...، ثم رفعوا عن عيني وعن عينيه الطّماشة وصُدم بوجودي أمامه، وأخذ يصرخ بأنّها اعترافات تحت التّعذيب، وكان واضحا أنّه تعرّض للكثير منه»[3]. لم يكن لزوج "لولا الأغا" أي علاقة بالمظاهرات، ولكن عندما دخل السّجن وتعرّض لذلك الكمّ من التّعذيب، راح يعترف بأشياء لم تحصل إطلاقا، مثل أنّه من الجيش الحرّ، وهذا فقط كي يتوقّف التّعذيب. إلى هنا مازال التّعذيب طبيعيّا، إلى أن اغتصبوها أمام مرأى عينيه، ولعدم قدرته على فعل أي شيء إزائها، مات قهرا وذلّا، «كان يصرخ طيلة الوقت، ثمّ سكت، تخيّلت أنّه قد أُغمي عليه. سحبوه خارجا. بعدها بيومين قال لي المحقق زوجك (فطس)، مات أمامي ولم أعرف أنّه مات. لا أعتقد أنّه مات من الضّرب. بل مات من الذّلّ. مات مما فعلوه بي أمامه»[4].

هذا التعذيب البشع كان كلّه بسبب المطالبة بالحرّية، وكان هذا مصير الثّوّار في سوريا، أو بالأحرى مصير كلّ من يعيش في سوريا، إذ يوجد معتقلون لم يفعلوا شيئا ولم يخرجوا في مظاهرات،

1 – الرّواية، ص100.
2 – الرّواية، الصفحة نفسها.
3 – الرّواية، ص100، 101.
4 – الرّواية، ص101.

ومع ذلك اعتقِلوا مثل "أيوب الشّامي" الذي ذهب للمعتقَل كي يسأل عن أخيه، وانتهى به الأمر مُعتقَلا ومعلّقا من أنفه في زنزانة.

تظهر لنا المفارقة جليّة من خلال فهمنا للموقفين، إذ إنّ موقف "يزن" المحايد اتّضح من خلال رفضه للاستماع لشهادات مَن سبق واعتُقِل، وكذلك رفضه لحقيقة النّظام. وبالمقابل ظهر الثّائر ضدّ النّظام، فكُرههم وثورتهم ظاهران دون أن يقولوا ذلك لفظيّا. وهذه هي المفارقة الموقفية، التي تُفهم من خلال المواقف، وكلّ طرف يُبرز موقفه المعارض للآخر، من خلال الأحداث التي عاشوها.

3.2 مفارقة السّجن والحرّيّة:

لم تظهر هذه المفارقة في رواية "بيت خالتي" بشكل مباشر ومتقابل، وإنّما جاءت موزّعة على أحداث الرّواية. وبالنّظر إلى المفهوم العام للحرّية الذي يعني القدرة على التّصرّف في شتّى الأمور، مثل حرّية التّعبير، حرّية التّغير، حرّية الفكر والمشاعر، حرّية العقائد الدّينية، وغيرها من الحرّيات. فإنّ الحرّية الواردة في هذه الرّواية لا تسع كلّ ما ذكرناه، إذْ حُرم الجميع من حرّياتهم، فكانت صرخاتهم منذ بداية الثّورة والمظاهرات بعنوان: «حرّية للأبد، غصبا عنك يا أسد»[1]. جميع السّوريين نادوا بالحرّية، الحرّية التي سُلِبت منهم رغم عيشهم خارج أسوار السّجن، لكن بمجرّد أن نادوا بها اعتُقلوا، وجدوا أنفسهم بين جدران أربعة وأبواب مؤصدة، لا يقوَون على شيء، والمتسبب الوحيد في هذا هو النّظام الفاسد، ذلك النّظام الذي لم يُولِ اعتبارا للمتظاهرين المطالبين بالحرّية، إنْ كانوا رجالا أم نساءً، كبارا أم صغارا، بالنّسبة لهم كلّ من شارك في المظاهرات هو مجرم ويجب اعتقاله. بمجرّد أن يخرج الإنسان عن صمته وينادي بالحرّية، سيجد السّجن أوّل من استجاب له، تقول "رنيم معتوق" في هذا الخصوص: «نشأت في عائلة علمانيّة تقدّس قيم الحرّية. عندما صرخت

1 – الرّواية، ص73.

المظاهرات في الثّورة "حرّية" لم يكن ممكنا إلّا أن أنظمّ لها...، اعتُقلت مرّتين. الأولى في 2011...، كنت أبلغ العشرين من العمر...، والثّانية في عام 2014»[1].

كلّ من تمّ اعتقاله كان بسبب أنّه نادى بالحرّية، الحرّية فقط، لم يقوموا بأي فعل إجرامي يستدعي كلّ ذلك التّعذيب الذي مرّوا به. فالسّجن الذي سُجنوه ليس كأيّ سجن يُمنع فيه المسجون من رؤية أهله، أو أنّه ينضبط بقواعد السّجن فحسب. بل كان جحيما على وجه الأرض، كلّ ثانية فيه كانت تعادل عاما، إن صحّ التّعبير، جُرمهم الوحيد أنّهم لم يقبلوا العيش تحت نظام يسود فيه القهر والظّلم من كلّ الاتجاهات، فجاءهم الرّد أبشع مما كانوا يتوقّعون. في سجن "صيدنايا" على سبيل الذِّكر «سياستهم الأساسيّة كانت التّجويع. التّجويع الفظيع، كنّا جياعا طيلة الوقت، خائري القِوى، لا نقوى على شيء»[2]. وبالإضافة إلى سياسة التّجويع المتّبعة داخل السّجون، كان المعتقَلون يعاقَبون على أبسط الأمور، «فكلّ ما يتعلّق بالصّلاة أو الصّيام، أو قراءة القرآن كان يُعتبر مخالفة في صيدنايا»[3]، ويعاقب فاعلها بالضّرب، فإمّا أن يكفر أو يموت.

هذه إحدى الزّوايا التي وظف خلالها الكاتب مفارقة السّجن والحرّية، إذْ أبرز موقف الشّعب السّوري إزاء حرّيتهم. وفي المقابل نجد زاوية أخرى لمفارقة السّجن والحرّية، فمن كان مسجونا يحمد الله على نعمه التي أنعمها عليه، وهذا بالرّغم من تواجده بين أسوار مغلقة، لا يتصرّف بحرّية أبدا، و "كنان" أحد المسجونين المحكوم عليهم بالمؤبّد الذين ساعفهم الحظّ وكانت لهم بعض الحرّيات داخل السّجن، إذْ إنّ «السّجون في سوريا درجات، والسّجون المدنيّة وضعها أهون من سواها...، وبالفساد الإداري والرّشى ومدير السّجن أقلّ سوءًا من سواه، كلّ شيء ممكن، لديه هاتف واتصال

1 – الرّواية، ص114.
2 – الرّواية، ص184.
3 – الرّواية، ص186.

انترنت، وكان يتواصل مع أنس ومع سواه»[1]، فكان "كنان" يتمتّع بشيء من الحرّية داخل السّجن، حتى إنّه كان بكلامه يُقوّي من كان حرّا. في حين نجد من يعيش خارج أسوار السّجن وحتى خارج نظام سوريا، خائفا خوفَ المحكوم عليه، يقول "يزن": «أرسلت رسالة إلى كنان عبر الواتس آب. فعلت ذلك بحذر، كما سيفعل أي سوريّ إذا اتّصل بشخص في السّجن...، لم أُعرّف بنفسي باسمي كاملا، بل قلت بدلا عن ذلك: (أنا زميلك، قريب المرحوم أنس خزنجي، كنت بعدك بسنتين في الكلية)»[2]. هذه الرّسالة التي أرسلها "يزن" الحرّ، إلى "كنان" المسجون، توضح مقدار الخوف الذي كان يحمله، وما كان رد "كنان" إلّا أن ضحك على خوفه، يقول "يزن": «بعد قليل ردّ كنان بوجه ضاحك، كأنّه يضحك على خوفي وأنا خارج سوريا، ولا مبالاته وهو في داخل السّجن في سوريا»[3].

نجد كذلك "كنان" وهو داخل سجنه في قمّة إيمانه، وتصالحه مع نفسه، وقد استغرب "يزن" من تلك الدّرجة التي وصل إليها صديقه، خاصّة حين قال: «الله من فوق طامرني برحمته، وكرمه، وفضله، من رأسي إلى قدمي»[4]؛ فحالة مثل هذه يمكن أن يعيش صاحبها حالة سلام داخليّ، بسبب إيمانه بأنّ هذا مجرّد امتحان من الله عزّ وجلّ، وسينجح فيه.

ظهرت المفارقة الموقفيّة في ثنائيّة السّجن والحرّية بشكل جليّ مع الحالتين السّابق ذكرهما، فكِلتا الزّاويتين برز فيهما موقف الإصرار على الحرّية، ومهما عاش الإنسان، سوريّا كان أو غيره، تحت الظّلم والقهر والقوانين الظّالمة وغير العادلة، مؤكّد أنه سيطالب بعيش غير الذي يعيشه، سيطالب بحقه في العيش على أحسن حال، سيطالب بالحرّية. وحتى ذلك المسجون عُنوة يطالب

1 – الرّواية، ص71.
2 – الرّواية، ص86.
3 – الرّواية، الصّفحة نفسها.
4 – الرّواية، ص87.

بحرّيته التي سُلبت منه، وأُتبع بشتى أنواع التعذيب، فبأي حقّ يعامل هذا الشّخص على أنّه لا شيء، على أنّه نكرة، على أنّه رقم فقط، وعلى هذا تمثّل موقف كل طرف في هذه الرّواية.

4.2 مفارقة الموت والحياة:

يمكننا القول إنّ أحداث رواية "بيت خالتي" بدأت بموت "أنس خزنجي"، الذي كان بمثابة وسيلة لإيصال شهادات معتقَلين وما مرّوا به إلى أسماع العالم، عبر فيلم قام بإنتاجه، فانتحاره كان «نتيجة طبيعية لما فعله النّظام به وبغيره»[1]. عاش المعتقَلون ومات "أنس"، مات بعد أن استمع لكلّ معتقل والتّجربة التي مرّ بها، والتي كانت مليئة بالتّعنيف، والتّعذيب، والقهر، والذّل الذي يقتل المرء.

خارج المعتقلات السّوريّة، كان الشّعب السّوري يعيش شبه حياة، أو بالأحرى لم يستمتعوا بأبسط حقوقهم، وذلك ما دفع بهم للثّورة على النّظام الفاسد الذي يحكمهم، وحين نطقوا بكلمة الحق، وجدوا السّجن حليفهم، وداخل تلك المعتقلات عانوا الويلات، وفي كلّ مرة كانوا يموتون ألف مرّة، ليس بسبب الضّرب فقط، وإنّما من الذّلّ الذي شهدوه، تقول "لولا الأغا" بعد أن عُذّبت واغتُصبت أمام زوجها: «بعد يومين قال لي المحقق زوجك (فطس) مات أمامي ولم أعرف أنّه مات، لا أعتقد أنّه مات من الضّرب. بل مات من الذّل. مات مما فعلوه بي أمامه»[2]. لقت مات قهرا وذُلّا من هول ما شهده.

1 – الرّواية، ص51.

2 – الرّواية، ص101.

معظم المعتقلين كانت نهايتهم الموت، إذْ كانوا يعانون من أشكال التّعذيب المختلفة. يقول "أيوب الشّامي": «أخي الذي دخلت الفرع لأقابله استشهد تحت التّعذيب. اتّضح أنه استشهد بعد عشرة أيّام من اعتقاله في منتصف 2013»[1]. اختلفت أسباب الموت لكن النتيجة واحدة.

كلّ المعتقلين مروا بأقسى التّجارب في حياتهم، الكلّ كان يُضرب، يُصعق بالكهرباء، تُقلع أظافره، إلى غير ذلك. وبالرّغم من كل ذلك التّعذيب الذي مروا به، إلّا أنّ استشهادهم أيضا لم يُرحموا فيه، إذْ إنّ جثثهم كانت تُلقى في أكياس ولا تُدفن، تقول "رنيم معتوق": «في طريقي إلى الحمّام مرّة شاهدت جثّة رجل كبير السّنّ ملقاة بين أكياس الخبز الذي يُوزّع لنا»[2]. الكلّ كان يموت، ومن لم يمت صار يتمنى موته، فقط ليرتاح مما مرّ به وما ينتظره، يقول "إبراهيم العيسى": «في أحيان كثيرة أقول لنفسي.. ليتني متّ في السّجن... أو في المواجهات.. على الأقل أهلي لن يحملوا عاري هذا»[3]، المُلاحَظ في قول هذا المحكوم أنّه يولي اعتبارا لما سيقول عنه النّاس مستقبلا إن نجى. "فاروق الخيّال" أيضا تمنى الموت وقال: «كنّا ننتظر جميعا الموت، لم يكن لديّ أيّ تصوّر أنّي سأخرج حيّا من المعتقل. كلّ ما كنّا نتمناه وندعو الله به هو أن نموت بسرعة»[4]. كذلك الأمر بالنّسبة لـ "شاهر محمّد" الذي يقول: «كنت أشعر أنّي داخل مسلسل رعب بلا حلقة أخيرة. أحسد من تأتي حلقتهم الأخيرة بالموت. وأتساءل، متى أرتاح وأموت...، كنت أتمنى الموت فقط»[5]. وحتّى "جوري" بعد أن استنزفوا كلّ طاقتها ولم تعد تقوى على شيء قالت: «إنّي أفضّل أن أموت تحت التّعذيب»[6].

1 – الرّواية، ص98.
2 – الرّواية، ص116.
3 – الرّواية، ص193.
4 – الرّواية، ص217.
5 – الرّواية، ص299.
6 – الرّواية، ص327.

في حين نجد من لم يمرّ بتجربة الاعتقال والتّعذيب إطلاقا، يعيش حياة يغشاها الخوف، مثل "هدباء حماصني" التي كانت داعمة للنّظام، ليس حبّا فيه، وإنّما من فرط خوفها من سلطته، «هي قويّة جدّا، بالفعل جبّارة. ربّما أكثر مما تتخيّلون، وهي مؤيّدة حقيقيّة للنظام. لا تنافق في هذا. ليست بوجهين؛ لكنّها ليست مؤيّدة له لأنها تعتبره مثاليّا، بل لأنّها مقتنعة تماما بأنّ معارضته ستجلب الدّمار للجميع، وأنّه الوحيد القادر على الإمساك بالأمور في البلد، لذلك فهي تعتقد أنّ مسايرته هي الحلّ الأمثل»[1]. ليست الوحيدة التي تُفكّر بهذا التّفكير، «فالكثير من الشّوام ليسوا مؤيّدين له إلا بهذا المعنى.. لا أكثر»[2]، وهذا يدلّ على الخوف الذي يعيشون فيه.

في المقابل، نجد كلّ من مرّ بتجربة السّجن ولم يمت، بقيت كلّ تلك المشاهد راسخة في ذهنه، لا يريد أن ينسى ما حدث معه، والكلّ اجتمع على فكرة واحدة وقَوْل واحد؛ «لا أستطيع أن أنسى حتّى لو أردت...، لا يُمكن أن أنسى ما حدث معي. لا أريد أن أنسى ما حدث. هذه الفترة أصبحت حجر أساس في شخصيّتي...، خرجت من الانفراديّة منذ مدّة طويلة، لكنّها لاتزال في داخلي أينما كنت»[3]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على القهر والذّلّ الذي عاشوه داخل المُعتقلات، حتى أنّ هذا الشّعور سيصاحبهم طيلة حياتهم الباقية.

تمثّلت المفارقة الموقفيّة في ثنائيّة الموت والحياة بشكل واضح منذ بداية أحداث الرّواية، وبعض الشّواهد التي ذكرناها كفيلة بأن تجعلنا نعيش تلك التّجربة بشكل أقرب إلى الحقيقة. وقد ظهرت هذه المفارقة انطلاقا من موقف كل طرف؛ إذْ إنّ قويّ الشّخصيّة لم يسكت عن حقّه، فكان

1 – الرّواية، ص112.

2 – الرّواية، الصّفحة نفسها.

3 – الرّواية، ص98–189–215.

جوابه السّجن والموت في آخر المطاف. أمّا ضعيف الشّخصيّة، فسيطر عليه الخوف والصّمت طوال حياته.

بناءً على تجلّيات كلٍّ من المفارقة اللّفظية والمفارقة الموقفية في رواية "بيت خالتي"، نخلص إلى أنّهما جاءتا كوسيلة لتعكس حياة الشّعب السّوري تحت ظلّ نظام فاسد وإجرامي. وغايةً يُبرز من خلالها التّناقض. وكلّ تلك التّناقضات التي تُثقِل كاهل الإنسان، بالنّهاية تجعله معرّضا أكثر للصّدمات النّفسيّة، فيصل به الأمر أن يغترب عن محيطه ومجتمعه.

الفصل الثّاني: السّجن والنّزعة الاغترابيّة في رواية بيت خالتي.

1. **تجلّيات الاغتراب في الرّواية:**
   - 1.1 الاغتراب الاجتماعي.
   - 2.1 الاغتراب النّفسي.
   - 3.1 الاغتراب السّياسي.
   - 4.1 الاغتراب المكاني.
2. **المشاعر النّاتجة عن الاغتراب:**
   - 1.1 العجز.
   - 2.1 فقدان الأمل.
   - 3.1 صدمة الوعي.

1. تجلّيات الاغتراب في الرّواية:

شكّل أدب السّجون مرجعيّة فكريّة متّفقا على أنّها نابعة من معاناة شعب اعتُقِل وأُسِر، ولم ير سبيلا للحرّيّة إلا من خلال الكتابة، تلك الكتابة التي تنقل لنا آلام المعتقلين، وتُفصح عن انفعالاتهم ومشاعرهم المسجونة، وتفضح الحقيقة المرّة التي يعيشها كل مسجون، وقد تطرّقنا فيما سبق لمظاهر الحياة داخل السّجون السّوريّة، وعرضنا ذلك فيما يُسمّى بالمفارقة. وبالنّظر إلى تلك المفارقات، نجد أنّها تنعكس على نفسيّة السّجين، فتولّد لديه حالة شعورية استثنائية، تدخل تحت مسمى الاغتراب.

من المعلوم أنّ «كلّ شيء في السّجن ممنوع حتى يصدر الأمر بإباحته أو منعه، فالأصل في السّجن "المنع" لغير سبب وبغير تفسير»[1]. والسّجن عادة مركز أُعِدّ لعقاب من تمرّد واستكبر، وهو سجن «يُخيف من يخاف ويُهذّب من يتهذّب»[2]، لكن ماذا يحدث إن لم يُذنب ذلك السّجين؟ كيف تكون نهايته حين يُسجَن عُنْوة؟ حين يُعذَّب في اليوم مئة مرة من دون ذنب أذنبه، فقط اعتُقِل غصبا عنه وزُجّ داخل السّجن، ربّما كان ذنبه الوحيد أنّه طالب بالتّغيير نحو الأفضل. وبغض النّظر عن أثر الجروح الجسديّة الذي يبقى معه طول عمره، فإنّ الحالة النّفسيّة المضطربة التي ترافقه بقيّة حياته هي الأمر الأكبر، فيكره نفسه ومجتمعه، ولا يتقبّل بقاءه في وسط يضيق عن أفكاره ومعتقداته، فيُصبح بذلك مغتربا.

بالنّظر إلى الاغتراب بصفة عامة نجد أنّه «حالة إنسانية ونفسية واجتماعية، تنتاب الفرد البشري، فتسيطر عليه لتجعله غريبا ومعزولا عن واقعه الاجتماعي مما يؤدي إلى عجزه عن الانسجام

1 – عبّاس محمود العقّاد، عالم السّدود والقيود، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، د.ط، القاهرة، 2013، ص31.
2 – نفسه، ص112.

والتلاؤم مع المجتمع من حوله»[1]. ومن ثمّ فإنّ مسبّبات الاغتراب تنطلق من رفض ذلك الشّخص لكلّ ما حوله، بداية من ذاته وصولا إلا مجتمعه. وعلى هذا يمكن تقسيم الاغتراب إلى أربعة أقسام؛ اغتراب اجتماعي، واغتراب نفسي، واغتراب سياسي، واغتراب مكاني.

1.1 الاغتراب الاجتماعي:

الاغتراب الاجتماعي من أشهر الأنواع انتشارا، خاصة في مجتمعاتنا العربيّة، بسبب عدم التّوافق بين الأفكار والمجتمع، فنجد أغلب النّاس يعانون من الغربة وعدم تقبّل واقعهم، مثل أن يعيش عالِم ما في وسَطٍ أمّي، أو إنسانٌ ملتزم بدينه مع أُناس غير مسلمين، أو شخصٌ منفتح في وسط منغلق على المجتمعات الأخرى. فبسبب الفوارق الاجتماعيّة هذه، يجد الإنسان نفسه غير قادر على التّوافق مع الآخرين، ونتيجةً لذلك يُصبح مغتربا اجتماعيا، «فالإنسان المعاصر يشعر بأنّه منفصل عمّا حوله من النّاس، والعمل، والنّظام الاجتماعي عموما، ولهذا يبدوا متشائما من المستقبل»[2].

ظهر هذا النّوع في الرّواية حين تمّ التّفريق بين الشّعب السّوري وتصنيفه بناءً على المحافظة التي يعيش فيها، ورؤية "الشّوام" على أنّهم أفضل وأعلى قيمة من المنتمين إلى "دير الزّور" أو "درعا" مهد الثّورة السّوريّة. وظهر هذا جليّا مع أمّ "يزن" الشّاميّة التي تزوّجت من أبيه الدّيري، إذْ إنّ معاملتها معه تدلّ على ندمها وعدم تقبّلها للفكرة، ودائما ما كانت تُذكّره أنّها شاميّة تزوّجت من رجل من خارج السّور، وفي هذا يقول "يزن": «والدتي كانت تذكّر أبي دوما بأنّها شاميّة تزوّجت من

1 – مامون عبد الوهّاب، تحريشي عبد الحفيظ، ثالوث الحبّ، الاغتراب والسّجن في الرّواية الحواريّة: رباعيّة الدّم والنّار لعبد الملك مرتاض، مجلّة لغة– كلام، مجلّد07، ع02، 02 مارس 2021، ص359.

2 – صلاح الدّين أحمد الجماعي، الاغتراب النّفسي الاجتماعي وعلاقته بالتّوافق النّفسي والاجتماعي، دار زهران للنّشر والتّوزيع، ط1، عمان، 2010، ص61.

ديري»[1]، وكانت تحاول التّكفير عن خطئها هذا عن طريق أبنائها، إذْ كانت تربّيهم على تربية الشّوام، وتغرس فيهم أفكارا تبيّن عدم تقبّلها لواقعها، وتطلب منهم دائما أن يتزوّجوا شاميّات، يقول "يزن" مخاطبا أمّه: «ألم تغسلي أدمغتنا أنا ومأمون، خُذ شاميّة وعش عيشة هنيّة»[2]. كذلك كانت تطلب من زوجها "الدّيريّ" أن يتصرّف ببعض التّصرّفات أمام أهلها، ويمتنع عن ذكر أي شيء يدلّ على أنّه من "دير الزّور". وهذا فقط كي لا تُنبَذ من طرف أهلها ومجتمعها.

يظهر لنا بأنّ الاغتراب الاجتماعي الذي عاشته أمّ "يزن"، والعُقد التي غرستها فيه منذ الصّغر، قد انعكست كلّها على نفسيّة "يزن" فتشكّل لديه، هو الآخر، اغتراب اجتماعيّ ونفسيّ، ونشأت عنده عُقد من انتمائه لـ "دير الزّور"، وتولّدت لديه غِيرة من ابن خالته الشّاميّ "أنس"، ورغبة مُلحّة في أن يتقبّله مجتمعه.

2.1 الاغتراب النّفسي:

من أبرز أشكال الاغتراب في هذه الرّواية، الاغتراب النّفسي، وقد ظهر هذا جليّا مع "يزن"، الذي جسّد هذا الشّكل من الاغتراب من خلال تصرّفاته وكلامه، وموقفه من الثّورة والثّوار، ومعاملاته اليوميّة. وهذا النّوع من الاغتراب «يتميّز عن باقي المعاني بكونه ينطوي على شعور الفرد بانفصالٍ عن ذاته»[3]، ويجعل الإنسان رافضا للواقع الذي يعيش فيه منفصلا بوعيه عن العالم المحيط به، بسبب الاختلاف الواقع بين الفرد ومجتمعه.

---

1 – الرّواية، ص138.

2 – الرّواية، ص132.

3 – قيس النّوري، الاغتراب.. اصطلاحا ومفهوما وواقعا، عالم الفكر، ع1، 01 أفريل 1979، ص18.

يمكن القول إنّ الاغتراب النّفسي في رواية "بيت خالتي" كان السّببَ في تشكّل مفارقة الحياد والثّورة، المطروحة سابقا، فالشّعب السّوري كلّه يعيش في حالة اغتراب ورفض للذّات والواقع المرير الذي هُم فيه، منهم من صرّح بذلك وثار، ومنهم من أخفى اغترابه، وأبدى حيادا مُزيّفا، فقط بسبب الخوف.

من أمثلة الاغتراب النّفسي الذي لاحظناه عند "يزن"، رفضه للمحافظة التي ينتمي إليها، التي هي "دير الزّور". وبسبب الطّبقيّة التي سادت في سوريا، كان يشعر بالخجل من انتماءه هذا. وقد تَوضّح هذا من خلال نقاش أمّه الشّامية مع أبيه الدّيري، فقد كانت أمّه دائما تُعيّر أباه بأصله الدّيري، بقصد وبدون قصد، الأمر الذي ولّد لدى "يزن" نوعا من الرّفض لأصله، «كانت تستخدم هذه الورقة للضّغط عليه، وكانت تبرّر بها سيطرتها على كلّ شيء...، لا تقل هذه الكلمة أمام أهلي، لا تطلب شايا أمامهم، قهوة وبس سادة أو وسط لكن بالتأكيد لا تطلبها حُلوة...، يمكن لأي شاميّ أن يخالف هذا القواعد دون مشكلة لكن نحن بالذّات لا يُمكن»[1]. كلّ هذا أثّر في نفسيّة "يزن" والانطلاقة كانت من أمّه، فهي لم تكن متقبّلة لفكرة أنّها متزوّجة من ديريّ، وتصرفاتها هذه خير دليل على وجهة نظرها. وهذا ما أثّر على "يزن" فأصبح يستنكر من انتماءه إلى "دير الزّر"، ويشعر بالخجل خاصّة أمام أخواله وخالاته الشّاميّين، وأصبح يحاول بأقصى جهوده أن يُخفي جُذوره الدّيريّة، «كنت أشعر أنّ المجتمع حولي لم يتقبّلني تماما لأنّ أبي كان من دير الزّور، لست شاميّا مئة بالمئة، لذلك حرصت دوما أن أبذل جُهدا أكبر من أقراني لكي يقبل بي النّاس من حولي...، كنت أحرص على استخدام أمثلة شاميّة قديمة شبه منقرضة كي أبدو شاميّا. هل كان لذلك نفع؟ لا، للأسف لا»[2].

1 – الرّواية، ص138.

2 – الرّواية، ص141.

يظهر هنا إنكار "يزن" لأصله الدّيريّ، باعتباره إهانة لشخصه، وكلّ هذا بسبب عُقدته التي زرعتها أمّه فيه، وبسبب الطّبقيّة التي دسّها النّظام بين طبقات الشّعب.

هناك ارتباط وثيق بين الاغتراب الاجتماعي والاغتراب النّفسي، فنُكران الذّات ما كان إلّا نتيجة لنكران المجتمع للشّخص ذاته، وحين اغترب "يزن" عن مجتمعه اغترب عن ذاته أيضا، وكان هدفه الأسمى أن يُحبّب مجتمعه فيه، وأن يصير فردا من دون أيّ تمييز، ومن بين الخطوات التي اتبعها من أجل بلوغ مبتغاه رغبته في الزّواج من "نور" الشّاميّة بالرّغم من أنّها مطلّقة، ولكنّ هذا لم يُرضِ أمّه أيضا، فقال مُخاطبا إيّاها: «ظننت أنّكِ ستفرحين لأنّ البنت شاميّة، ألم تغسلي أدمغتنا أنا ومأمون، خذ شاميّة وعش عيشة هنيّة»[1]، فكان ردّها: «أنا أهتم لهذه الأمور؟! أبدا لا يفرق عندي شامي، عن حمصي، عن حلبي، كلّ النّاس خير وبركة وأبوك أكبر مثال»[2]. لكنّ "يزن" يعرف حقيقة مشاعر أمّه ومتيقّن منها لذلك قال في نفسه: «صحيح هذا كلّ ما يهمّها فعلا، بالصّدفة لكي يكونوا أكابريّة ومعدّلين يجب أن يكونوا من الشّام تحديدا ومن الأفضل أن يكونوا من جُوّات السّور»[3]. بسبب هذه الأفكار ظلّ "يزن" يُحسّ بالغربة وعدم الانتماء، ويُحسّ برفض المجتمع له، وبنظرة النّاس الدّونية إليه؛ «فالاغتراب... يتّصل بصورة مركزية، بكون الفرد يتعرّض إلى تجربة الفصل أو الخلع بطريقة ما عن بعض النّاس، أو بعض الأشياء»[4]، وهذا بالتّحديد ما حدث مع "يزن" حيث تعرّض للرّفض من طرف المجتمع السّوري الشّامي، وهذا ما جعله يعاني.

1 – الرّواية، ص132.

2 – الرّواية، ص133.

3 – الرّواية، الصّفحة نفسها.

4 – قيس النّوري، الاغتراب.. اصطلاحا ومفهوما وواقعا، ص31.

يظهر الاغتراب النّفسي أيضا في المقارنة الدّائمة بين "يزن" وابن خالته "أنس" الشّاميّ الأصيل، غيرة "يزن" من "أنس" كانت واضحة منذ الصّغر، خاصة أنّ ملامح أنس دمشقيّة وكلامه دمشقي، وهذا ما كان يُغيض "يزن"، ولذلك كان يحاول أن يظهر أفضل منه في كلّ شيء، يقول "يزن" في هذا الخصوص: «عندما كُنّا صغارا كان هناك تنافس الأقران الطّبيعيّ الذي يحدث بين أبناء الخالة عندما يكونون متقاربين في العمر...، كان أنس أبيض البشرة، أشقر الشّعر، أزرق العينين، جاء بعد انتظار تخلّله إنجاب ثلاث فتيات، يتحدّث بثقة، ويُطلق النّكات...، وكنت أنا الصّبيّ الثاني الذي لا ينتظره أحد، كلّ ما فيّ أسمر اللّون بدرجات مختلفة، أكرت الشّعر ضئيل الحجم وخجول، لا يكاد يُسمَع صوتي لو تحدّثت، المقارنة كانت صامتة لكنّها واضحة في عيون الجميع»[1]. وقد استمرّت هذه المقارنة حتّى مرحلة مراهقته فبُلوغِه، وكان دائما يُعاني من عدم الانتماء والغربة، «باختصار كانت مراهقتي جحيما بسبب مقارنتي المستمرّة لنفسي مع أنس، ملأتني بشكوك وعُقد ومشاعر نقص»[2]. وبسبب تلك المقارنات في الصّغر سيطر هذا الشّعور على "يزن" وأصبح هو بذاته يقارن نفسه بـ "أنس"، حتّى في امتحان البكالوريا بَذل أقصى جُهوده كي يتفوّق على "أنس"، وفعلا نجح في ذلك، «بيني وبين نفسي، وجدت أنّ هذا كان تأكيدا نهائيّا لانتصاري على أنس»[3].

استمرّت الحال هذه مع "يزن" حتّى في كِبره، وفي مرّة من المرّات احتدّ النّقاش بينه وبين ابن خالته "أنس"، وقد كان بسبب أنّ "أنس" اتّهم النّظام بالتّفرقة بين الشّعب السّوري إذْ قال: «النّظام هو من فرّق بين الشّعب وجعلنا نصنّف أنفسنا، هذا شامي، وهذا برّات السّور، وهذا فلّاح...، وهذا

1 – الرّواية، ص10.
2 – الرّواية، ص12.
3 – الرّواية، ص13.

مسيحي، وهذا علوي»[1]، وهذا ما أغضب "يزن" لأنّه منذ الصّغر عانى من الاغتراب ورفض الانتماء فقال: «أعرف تماما أنّ النّظام يمكن أن يستثمر في كلّ ما هو موجود من نعرات لتدعيم قوّته وتثبيتها، لكن أن يكون هو الذي زرع كلّ هذه التّصنيفات؟ هذا وهم يتداوله الثّوّار فحسب...، بل بسبب نظرة متعالية موجودة تجاه كلّ ما هو غير شامي»[2]. كان هذا النّقاش النّقطة الفاصلة في حياة "يزن"، إذْ أفصح عمّا كان يدور في باله، وعن احتقاره لنفسه، وحتّى عن النّظرات والمعاملات الدّونيّة التي كانت تُوجّه له من طرف كل إنسان شاميّ. وما زاد الطّين بلّة هو عدم تأييد أمّه له، فقد فضّلت أن تُسكِته وتضع حدّا لذلك النّقاش كي لا يستمر، كما لو أنّها كانت تقول له: حتّى التّعبير عن رأيك غير مسموح؛ لأنّك ديريّ، وهي تبرّر حدّته في النّقاش بأنّه «مضغوط من الامتحانات»[3].

إنّ موقف "يزن" وأمّه خير مثال يتمثّل فيه الاغتراب الاجتماعي والنّفسي، فأمّ "يزن" تخجل من كون زوجها ليس شاميّا، وتخشى من نظرة المجتمع لها. وابنها كره نفسه وذاته وحتّى مجتمعه، أوّلا بسبب أصله الدّيري، وثانيا للمقارنة المستمرّة بينه وبين ابن خالته "أنس"، وتفوّقه الدّائم عليه.

3.1 الاغتراب السّياسي:

من أشكال الاغتراب أيضا الاغتراب السّياسي، وهو «نتيجة طبيعيّة لتراكم مجموعة من السّياسات المكرّسة بقصد وبدون قصد، ليس أقلّها من: عدم الاستقرار السّياسي، فشل الحكومات في

1 – الرّواية، ص273.
2 – الرّواية، ص 273، 274.
3 – الرّواية، ص274.

الوفاء بوعودها، زيف وانحسار المشاركة الفعليّة في اتّخاذ القرار»[1]، فإذا كان «النّظام قد أثبت عدم صلاحيّته...، هنا تكون أوّل دواعي التّمرّد، والذي تكون الغلبة فيه للنّظام، حيث لا يجد الفرد مهربا من الاغتراب»[2]، فالنّظام، إذًا، من بين الأسباب التي تجعل الشّخص يغترب سياسيا. ونجد هذا الشّكل حاضرا في الرّواية، لأنّ المشكلة الفعليّة ابتدأت برفض الشّعب السّوري لنظامهم، وتشكُّل الاغتراب السّياسي لديهم نتيجة حتميّة لكلّ تلك الضّغوطات السّياسيّة، «كلّ السّوريّين يعرفون طبيعة النّظام...، لا يمكن لمواطن سوريّ أن يعيش في سوريا دون أن يعرف هذا الأمر لكي يتمكّن من تجنب أن يحدث هذا له. نعم النّظام وحشيّ وسادي»[3]. فالحالة الشّعوريّة التي يصل إليها الشّخص السّوري هي شعور لا إراديّ، ولا يستطيع التّحكّم فيه.

لا يمكن أن يتشكّل الاغتراب من العدم، فهو وليد «مشكلات التّفكّك الاجتماعي والسّياسي، وخلخلة القيم، والتّبعيّة، والطّبقية، والطائفة الفئويّة، والسّلطويّة، فتسود علاقات القوّة والنّزاع، لا علاقات التّعايش والتّضامن، والتّفاعل والاندماج»[4]، وهذا ما شهدناه في الرّواية، فإذا أمعنّا النّظر في مفارقة الحياد والثّورة، نجدها تنطلق أساسا من شعور الاغتراب، حيث إنّ رفض الإنسان السّوري لواقعه، والنّظام السّياسي القائم في بلده، أدّى إلى انقسام الشّعب إلى قسمين، القسم الأوّل بلغ ذروة الاغتراب فتمرّد وثار على النّظام، والقسم الثّاني تقوقع على نفسه، وقبِل بالنّظام رغما عنه، فقط بسبب الخوف

1 – ولد الصّديق ميلود، الاغتراب السّياسي في الوسط الطّلابي دراسة حالة المجتمع الطّلابي لجامعات الجنوب الجزائري، رسالة دكتوراه، كلّية العلوم السّياسية والعلاقات الدّولية، جامعة الجزائر 3، 2012–2013، ص74. عن: أحمد النّكلاوي، بعض المتغيّرات المصاحبة لاغتراب الشّباب عن المجتمع الجامعي، دراسة استطلاعيّة على عيّنة من طلبة الجامعة الأردنيّة، مجلّة العلوم الاجتماعية، المجلّد 1، ع1، 1989، د ص.

2 – عبد اللّطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجيّة الاغتراب، ص98.

3 – الرّواية، ص103.

4 – حليم بركات، الاغتراب في الثّقافة العربيّة "متاهات الإنسان بين الحلم والواقع"، ص92.

من دخول السّجن، ومن ثمّ كان اغترابهم وسط أهلهم ومجتمعهم أهون عليهم من اغترابهم بين أربعة جدران.

من المعلوم أنّ النّزعة الاغترابيّة تتشكّل لدى الشّخص المسجون جرّاء مروره بتجربة مريرة، وحتّى لن ينال حُرّيته التّامة، فتلك التّجربة تفرض عليه أن «يكون أسير تصرّفاته، مسايرا للقّوة القائمة على الأرض، وإلّا... أصبح أحدنا يحسّ وكأن الوطن سجن، إذ إنّ الحرّية الشّخصيّة مفقودة، والكلمة الحرّة ممنوعة، والانتقال من مكان إلى آخر مقيّد»[1]، ومع ذلك نجد الفئة التي سيطر عليها اغترابها، ورفضت السّياسة القمعيّة في البلاد، تنتهز كلّ فرصة لتُبرز رأيها، من ذلك جنازة "أنس خزنجي"، التي تحوّلت إلى شبه مظاهرات، كانت كلّ الهتافات تنادي بسقوط النّظام، «إنّ الثّورة ستنتصر والنّظام سيسقط عمّا قريب. أبدى مُعظم الحاضرين تفاعلًا مع الكلمة كما لو كانوا متيقّنين من ذلك. فكّرت أنّي كطبيب نفسي ربّما لن أرى هذا العدد الكبير من المصابين بحالة الانكار مجتمعين في مكان واحد كما الآن»[2]. كان هذا قول "يزن" الذي لا موقف له، وحجّته في ذلك أنّ «الثّورة فعلا لا عقلانيّة في الظّروف التي حدثت بها»[3]، ولعلّ خوفه من الوصول إلى أسوأ ما هو عليه هو ما منعه، ودائما ما كان يقول «أنا رمادي»[4]. أما غيره فقد اتّحدوا من أجل كلمة الحق، «فالثّوّار هم الشّباب الذين خرجوا ليهتفوا ضدّ النّظام في سوريا دون أيّ أجندة سياسيّة. فقط حرّية وكرامة. يريدون لسوريا

1 – واضح الصّمد، السّجون وأثرها في الآداب العربيّة من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، بيروت، 1995، ص07.

2 – الرّواية، 73.

3 – الرّواية، ص142.

4 – الرّواية، ص39.

أن تكون مثل بقيّة دول العالم»[1]. وعلى هذا فالمغتربون سياسيا كان حلمهم بسيطا، أن يسترجعوا كرامتهم المنتهكة، وحُرّيتهم المسلوبة.

تَولّد الاغتراب السّياسي لدى شخصيّات الرّواية نتيجة للضغوطات السّياسيّة التي عاشوها، فحاولوا التّغلّب على اغترابهم، لكن هيهات؛ إذ إنّ تمرّدهم زادهم مشقّة وعناءً، ووجدوا أنفسهم في مواجهة شعور اغتراب جديد، وهو الاغتراب المكاني.

4.1 الاغتراب المكاني:

بما أنّ الرّواية تعتمد في بنيتها على الشّخصيات والمكان، فإنّ شعور الاغتراب المكاني يُخالج شخصيات رواية "بيت خالتي" بسبب انتقالهم من مكان إلى آخر، إذْ انتقلوا من بيتهم ودفء عائلتهم، إلى سجن موحش مظلم، تنعدم فيه أساسيات الحياة. إذًا النّقطة الرّئيسيّة تكمن في المكان الذي انتقلوا إليه، الذي هو السّجن، إذْ أصبحوا في حالة نكران للموضع الذي حلّوا به، ولم يتقبّلوا المقرّ الجديد الذي أُنزلوا به رغما عنهم.

يظهر الاغتراب المكاني في رواية بيت خالتي من خلال مفارقة، هي مفارقة السّجن والحرّية، فلو لم يُعتقل الإنسان السّوري، ولم يمرّ بتلك البشاعة داخل السّجن، لن يصل إلى درجة الاغتراب والإنكار. وعلى هذا السّبيل تقول "رنيم معتوق": «أمام بعض المواقف، عشت حالة الإنكار كأوضح ما يمكن أن تكون. هناك صديق للعائلة، مروان حاصباني، اعتُقِل معي في الحملة نفسها...، عندما أخبرني المحامي أن مروان حاصباني قد مات تحت التّعذيب. قلت إني لا أعرف من هو مروان. لم أكن أكذب أو أتظاهر بالإنكار. دماغي آنذاك حذف مروان من ذاكرتي كي لا أشعر بالألم»[2]. حالة

1 – الرّواية، ص67.

2 – الرّواية، ص116.

الإنكار والاغتراب التي وصلت إليها هذه المعتقَلة كانت لا إراديا، لم تكن مسؤولة عمّا وصلت إليه، بل كانت نتيجة للضّغوطات التي مرّت بها.

المعتقَلة ذاتها عاشت حالة اغتراب مكاني من نوع آخر، فبالرّغم من التّجويع، والتّعذيب، والاغتصاب، الذي مرّت به هي وزميلاتها في المعتَقَل، إلّا أنّهنّ انفصلن عن كلّ تلك الأجواء، في محاولة منهنّ أن يصنعن بهجة صغيرة تنسيهنّ بعضا من همومهنّ، تقول: «أحيانا كنت، ومن معي، ننفصل عن الواقع تماما. نغنّي، نرقص، نزغرد. كنّا ستّ فتيات في منفردة واحدة»[1]. للحظة نسَينَ أنّهنّ في معتقل والتّعذيب يحيط بهم. كذلك الأمر كان عند المعتقَلين الرّجال، كان بينهم من اغترب مكانيّا، مُحاولا بذلك أن يتناسى القليل من جروحه وآلامه، وهو «رجل حمصي أربعيني يُشيع البهجة في المكان، ويتحدّث مع الجميع، ويحرص على تقوية معنويات المنكسرين»[2]. هي بضع حركات تبدو بسيطة، لكنّها أحدثت تغييرا عند كلّ معتقَل.

كذلك نجد اغترابا مكانيّا آخرا لدى معتقلين عاشوا حالة إنكار أصعب، إذْ لم يتقبّلوا ما هم عليه، فصنعوا عالما مُتخيّلا في أذهانهم، فعاشوا وسط أحلامهم، وهذا بشهادة "جمال" أحد المعتقَلين، إذْ يقول: «كنّا نقضي اليوم في أحلام اليقظة، غالبا كانت تدور حول الطّعام. أغلب الأحاديث كانت عن الطّعام، أقول لمن معي تخيّلوا رغيفا ساخنا، تخيّلوا عليه رشّة زيت. تخيّلوا عليه زعتر. تخيّلوا أنّنا نأكله...، أحد السّجناء معي قال إنّه عندما يُحاول أن يتذكّر وُجوه أولاده لا يذكر أيّ تفاصيل، بدلا عن وجوههم يرى بطاطا، أو صحن أرز»[3]. شعور الاغتراب هذا الذي وصل إليه هؤلاء كان بسبب سياسة التّجويع التي اعتمدها السّجانون إزاء المعتقَلين. "رنين معتوق" أيضا حاولت الهروب

1 – الرّواية، ص117.
2 – الرّواية، ص145.
3 – الرّواية، ص188.

بأفكارها من مكانها: «بالتدريج، طوّرت طريقة للهروب من كلّ ذلك. كنت أتخيّل أنّي في صندوق، وأنّ هذا الصّندوق أُغلِق ورُمي في المحيط، وأنّه يهبط بالتّدريج في المحيط، إلى أن يصل إلى أعمق نقطة ويتبدّد الضّوء تماما إلى أن أصل إلى ظلام فارغ. بعد هذا كنت أغرق في النّوم لساعات»[1]. هي أحلام يقظة اعتمدها المعتقلون كوسيلة للهروب من واقعهم المرير.

حتّى بعد تحرّر البعض من سجنهم لم يعيشوا تلك الحرّية التّامة، فقد كانت نظرات المجتمع تُجاههم أقسى بالنّسبة لهم، فبقي شعور الاغتراب مصاحبا لهم، حتّى وصل الأمر بأحدهم أن ترك "سوريا"، يقول: «تركت سوريا وأصبحت لاجئا. أهلي يعتبرونني ميتا، على الأقلّ ما يُعلنونه، أعرف أنّ قلب أمّي لا يعتبرني كذلك»[2]. وآخَر لم يستطع تخطّي صدمته، أحسّ نفسه لا ينتمي إلى ذلك العالم إطلاقا، أو كأنّه انتقل من عالم يشوبه الظّلام والبؤس، إلى عالم ورديّ، ولم يتقبّل حاله التي صار إليها، حيث يقول: «عندما خرجت بقيت أتأمّل النّاس في الشّوارع، ناس تسير، ناس تضحك، تلبس ملابس عاديّة وليست ملابس محكومين. كلّ شيء كان غريبا كما لو أنّي أراه أوّل مرّة. هؤلاء النّاس يعيشون حياتهم كما لو أنّ لا شيء يعنيهم من أولئك الأشخاص الذين كنت أنا بينهم... كان هذا صعبا على التّقبّل»[3]. "جوري" معتقَلة أخرى لم تستطع العودة إلى حياتها الطّبيعيّة بعد أن فُرّج عنها، أحسّت نفسها غريبة عن ذاتها القديمة، عن مكانها وانتمائها، "عندما أفرجوا عنّي أعادوا لي هُوّيتي. نظرت إليها ولم أفهم لِمَ أعطوني هذه الهُوّية، شعرت بأنّي فتاة أخرى لا علاقة لها بالفتاة

1 – الرّواية، ص118.

2 – الرّواية، ص193.

3 – الرّواية، ص197، 198.

التي اسمها وصورتها على الهوّية»[1]. بالرّغم من أنّ هوّيتها رُدّت إليها، إلّا أنّها لا تشعر بالانتماء لتلك الهوّية إطلاقا، فقد اغتربت مكانيا بالفعل.

يأتي الاغتراب المكاني في الرّواية تبريرا للقطيعة التي حدثت بين الإنسان ومكان عيشه، الذي يُشكّل ركيزة أساسيّة في هوّية الشّخص، فإذا فقد المرء جزءًا من هوّيته سيغترب لا محالة.

ينطلق الاغتراب الاجتماعي، والنّفسي، والسّياسي، والمكاني، في رواية "بيت خالتي" من الشّعور بأنّ هناك تفرقة بين الشّعب السّوري. وكل اغتراب مرتبط بالآخر، فالاغتراب النّفسي تولّد عن الاغتراب الاجتماعي؛ والذي سببه الرّئيسي تميّز منطقة عن أخرى. والاغتراب المكاني جاء نتيجة للاغتراب السّياسي؛ فعدم السّكوت ومواجهة النّظام أدى إلى السّجن، وبالتّالي الاغتراب مكانيا.

2. المشاعر النّاتجة عن الاغتراب:

الاغتراب حالة نفسيّة مضطربة تُسيطر على فكر الإنسان، وتجعل منه شخصا غير قادر على التّكيّف مع محيطه، ومجتمعه، وحتّى عائلته، فتتشكّل لديه مجموعة من المشاعر المختلطة، مثل الشعور بالعجز، والقلق، واللامبالاة، وفقدان الأمل...، وتتغيّر هذه المشاعر من شخص إلى آخر بحسب البيئة التي يعيش فيها، والتّجربة الحياتيّة التي مرّ بها. وبما أنّ رواية "بيت خالتي" تنتمي إلى أدب السّجون، فيمكننا القول إنّ جُلّ مشاعر الاغتراب قد اجتمعت فيها، ولعلّ أهمّ تلك المشاعر: العجز، وفقدان الأمل، وصدمة الوعي.

1 – الرّواية، ص332.

1.2 العجز:

أبرز شعور في هذه الرّواية هو الشّعور بالعجز، وقد ورد في أكثر من موضع، والعجز «يُقصد به شعور الفرد باللّاحول واللاقوّة، وأنّه لا يستطيع التّأثير في المواقف الاجتماعيّة التي يواجهها، ويعجز عن السّيطرة على تصرّفاته، وأفعاله، ورغباته، وبالتّالي لا يستطيع أن يقرّر مصيره»[1]، وهذا تماما ما شهدناه في شخصيّة "يزن"، فقد كان دائما ما يشعر بالنّقص والعجز، خصوصا أنّه نشأ على مقارنة دائمة بينه وبين ابن خالته "أنس"، ودائما ما كان "أنس" أفضل منه في الكثير من الأمور. ولهذا صار هدف "يزن" الوحيد أن يتفوّق على "أنس"، وهذا ما جعله يحتقر ذاته، ويستصغرها، ويشعر بتناقض بين الهدف والحالة، وأنّه عاجز عن فعل أيّ شيء، يقول في هذا السّياق: «...أعي الآن أنّي أدركت منذ طفولتي التّي تميّز أنس عليّ بأمور كانت لها أهمّية عند كلّ أقاربي من طرف أمّي...، شعرت دوما أنّي دخلت في المقارنة الخاطئة بطريقة ما»[2]، قوله هذا كان كفيلا أو يضّح لنا النّقص الذي كان يُحسّ به. ظهر شعور العجز لدى "يزن" كذلك في مرحلة الدّراسة، فيقول: «حرصت أن أكون متفوّقا في الدّراسة لعلّي أعوّض عن تميّز أنس، لكن أنس كان متفوّقا أيضا، أحيانا يسبقني بعلامة أو اثنتين...»[3]. بقي شعور النّقص مصاحبا ليزن طيلة مرحلة طفولته وحتى مراهقته، يقول: «باختصار كانت مراهقتي جحيما بسبب مقارنتي المستمرّة لنفسي مع أنس، ملأتني بشكوك وعُقد ومشاعر نقص، وربّما ساهمت بتحديد مساري المهني فيما بعد»[4].

1 – عبد اللّطيف محمّد خليفة، دراسة في سيكولوجيّة الاغتراب، ص36.

2 – الرّواية، ص10.

3 – الرّواية، ص11.

4 – الرّواية، ص12.

ولم يقتصر شعور العجز عند يزن على الشّعور بالنّقص والغيرة من أنس، وإنّما صاحَبه حتّى في كِبره، فقد صار أكثر بؤسا، وحينما كان الوقت مناسبا ليبرز نفسه ويتغلّب على عجزه، اختار أن يصمت ولا يتّخذ أيّ قرار، ويرضى بالحال التي هم عليها، كان يستطيع أن يكون في صفّ الثّوّار من أجل تحرير بلدهم، لكنّه بقي في الجهة المحايدة، التي لا تجرؤ على التّغيير، يقول "يزن": «كنت أعرف تماما أنّ أنس يتفوّق عليّ أيضا بأخلاقه، كان يساعد النّاس على نحو دائم كمبادرة منه. أنا كنت في جماعة (نفسي نفسي)، لا أساعد إلّا إذا وُضِعت في زاوية التّخجيل»[1]. وهذا كان تمهيدا لتحديد موقفه من الثّورة، وصُنّف بذلك مع الجماعة التي سيطر عليهم الخوف من النّظام، وقد كانوا على يقين أنّهم ولو قاموا ضدّه فلن يُسقطوه. وحتّى أنّه كان يُبعد نفسه عن شهادات المعتقَلين وماذا فُعِل بهم كي لا يضطرّ لفعل أي شيء، «طيلة سنوات كنت أتجنّب الاطلاع على شهادات كهذه...، وأعتقد أنّ أكثر الذين لديهم موقف مثل موقفي...، كان لديهم نفس الحاجز النّفسي الذي مكّنهم من الحفاظ على حيادهم»[2]. كذلك الذين كانوا في نفس موقفه لم يُصدّقوا حقيقة النّظام، فمنهم من يقول: «من قال أنّهم لا يكذبون؟ الشّهادات قد تكون كاذبة أو مبالغا بها على الأقلّ»[3]، ومنهم من قال: «نعرف أنّ النّظام مجرم، لماذا عرّضتم أنفسكم إلى كلّ هذا؟"[4]. ومبرّر عجزه هذا هو أنّ النّظام أقوى من أن يقف أمامه شعب ضعيف، لذلك يقول: "نعم النظام وحشيّ وساديّ. لكن لِمَ تتحرّشون به وأنتم

1 – الرّواية، ص60.

2 – الرّواية، ص102.

3 – الرّواية، الصّفحة نفسها.

4 – الرّواية، الصّفحة نفسها.

غير مستعدّين لمجابهته؟ هو وحشيّ ومجرم، وأنتم ماذا؟ أغبياء. أغبياء وحمقى»[1]. وراح يلوم الثّوّار على شجاعتهم: «لم تكونوا مُستعدّين بما فيه الكفاية، زادت خرابا بما فعلتم»[2].

لم يكن "يزن" الشّخص الوحيد الذي يشعر بالعجز، بل الكثيرون كانوا مثله، مثل "هدباء حماصني"، بالرّغم من القوّة والسّلطة التي كانت تملكها، إلّا أنّ العجز كان مُسيطرا عليها، وكانت فكرة أنّ النّظام أقوى مترسّخة في ذهنها، وهي «ليست مؤيّدة له لأنّها تعتبره مثاليّا، بل لأنّها مقتنعة تماما أنّ معارضته ستجلب الدّمار للجميع، وأنّه الوحيد القادر على الإمساك بالأمور في البلد، لذلك هي تعتقد أنّ مسايرته هي الحل الأمثل»[3]. حتّى "هدباء" اختارت أن تختبئ وراء عجزها مع إمكانيّة أنّها ستُحدِث فارقا لو كانت في صفّ الثّوّار. أساس الشّعور بالعجز هو «توقّع الفرد بأنّه لا يملك القدرة على التّحكّم وممارسة الضّغط، لأنّ الأشياء حوله تُسيطر عليها ظروف خارجيّة أقوى منه ومن إرادته»[4]، وهذه الفكرة هي التي سيطرت على "يزن" و "هدباء حماصني"، وتركتهما صامتَين أمام ظلم النّظام.

الإحساس بالعجز عند "يزن" و "هدباء حماصني" كان اختياريا، مبرّرَين عجزهما بأنّ النّظام أقوى من الكلّ. لكنّ هناك عجزًا آخرا ظهر في الرّواية وهو عجز المعتقَلين عن الدّفاع عن أنفسهم داخل المعتقلات. "أيّوب الشّامي" صاحب الشّهادة الأولى، بعد أن مرّ بجميع أنواع التّعذيب حان موعد الإفراج عنه، قال له المحقّق: «تخرج الآن كمن خرج من الحجّ، لا ذنب له...، غفرنا لك ذنوب الدّنيا والآخرة... كان يقولها بلهجة متكبّرة آمرة، وكنت في وضع كسير إلى أبعد حدّ، شكرته

1 – الرّواية، ص103.
2 – الرّواية، ص104.
3 – الرّواية، ص112.
4 – عبد اللّطيف محمّد خليفة، دراسة في سيكولوجيّة الاغتراب، ص36.

وقبّلت يده»[1]، لم يكن في وضع يسمح له أن يردّ عليه، غلبه عجزه وخوفه، خوفه من يُعتقل مجدّدا، فشكره شُكر عاجز، مكسور، ذليل، لا يقدر على الرّفض أو العصيان. "لولا الأغا" هي الأخرى اعتُقِلت هي وزوجها، عُذّبا معا، ولم يستطع أيّ منهما صدَّ ما يُفعل به، وفي الأخير مات زوجها بعد أن شهد على اغتصابها من قِبَل المحقّقين، وعجزه عن الدّفاع عنها وعن شرفه، «مات أمامي ولم أعرف أنّه مات. لا أعتقد أنّه مات من الضّرب، بل مات من الذّل، مات ممّا فعلوه بي أمامه»[2]. فعلا الشّعور بالعجز يقتل.

كذلك "فاروق الخيّال" وهو من المعتقَلين، تعرّض لكلّ أنواع التّعذيب، حيث اعتُقِل ثلاث مرّات، وكلّ ما مرّ به من تعذيب لم يؤثّر فيه كنظرة الفتاة التي اغتُصبت أمامه ولم يستطع مساعدتها، فيقول: «للحظات التقت عيناي بعينيها، رأيت فيها نظرة الانكسار لا يُمكن أن أنساها ما حييت...، شعوري بالعجز تجاه تلك الفتاة، بنت مدينتي، كان أقسى من أي تعذيب مرّ بي...، مررت بكل شيء وشُفيت منه، إلّا من هذه النّظرة»[3]. تقريبا نفس الموقف حصل مع المعتقَل "شاهر محمّد"، إذْ كان يُعذّب رفقة فتاة في المكان نفسه، فقال: «أحيانا أقرأ في نظراتها استغاثة، ويجعلني أشعر هذا أيضا بالضّعف»[4]. كلّ من "فاروق" و "شاهر" شعر بالعجز؛ عجِزا أن يُقدّما يد العون للفتيات اللاتي كنّ معهما.

1 – الرّواية، ص98.
2 – الرّواية، ص101.
3 – الرّواية، ص220،221.
4 – الرّواية، ص295.

2.2 فقدان الأمل:

من مشاعر الاغتراب الأكثر إيلاما، فُقدان الأمل، لأنّ الإنسان يعيش على الأمل والطّموح، ليعيش حياة كريمة، وهذا ما حُرِم منه الشّعب السّوري، فقد فقدوا الأمل من التّغيير، وعاشوا واقتنعوا أنّ حياتهم ستستمرّ بذاك النّحو المأساوي، ولم يتجرّؤوا على الاعتراض حتّى، خوفا من الطّاغية "بشّار".

ظهر هذا الشّعور في الرّواية مع الشّعب السّوريّ عامة، ومع المساجين خاصّة، الذين عانوا وفقدوا الأمل من خروجهم من المعتقلات، وفقدوا الأمل من الحياة أيضا، فنجد كلّ المعتقَلين الذين قدّموا شهاداتهم قد اجتمعوا على جملة واحدة وهي "تمنّيت لو أموت"، فقد كانت معيشتهم أشبه بمسلسل رعب لا نهاية له، وعلى سبيل المثال المعتقَل "أيوب الشّامي" الذي تعرّض للتّعذيب والتّعليق من أنفه، يقول: «كلّما كنت أفقد الوعي بعد التّعذيب كنت أتمنى أن لا أستيقظ أبدا، كنت أدعو الله أن يأخذ أمانته لأرتاح»[1]. قوله هذا يوضّح أنّه وصل إلى درجة من الضّعف لن يقوى بعدها، إذْ فَقَدَ الأمل مطلقا.

كذلك المعتقَلة "رنيم معتوق" التي اعتُقِلت بسبب مطالبتها بالحرّية، فقدت الأمل من نجاتها من ذاك المعتقَل، تقول في هذا الصّدد: «اعتقدت أنّي لن أخرج أبدا من المعتقَل، لذا كنت أتجنب أحلام اليقظة أو التّفكير في أي شيء خارج المعتقَل»[2]، حالتها المزرية هذه مشابهة لأحوال الكثير من المعتقلين، وكلّهم فقدوا الأمل في خروجهم من السّجن.

1 – الرّواية، ص97.

2 – الرواية، ص118.

نجد أيضا "قُتيبة إدلبي" الذي تعرّض للضرب المبرح، الضّرب الذي يشمل الضّرب بالعصيّ، والسّياط، والأحذية العسكريّة، والقفز فوق رأسه، حرفيّا فوق رأسه، كلّ هذا الضّرب جعل "قُتيبة" يفكّر أنّه لا سبيل للنّجاة بعد هذا التّعذيب ولهذا يقول: «تصوّرت أنّي سأموت، وأخذت أقول الشّهادة»[1]، لكن هيهات فحتّى تمنّيه للموت ورُفض من قِبل السّجانين، فحين سمعه معذِّبه وهو ينطق بالشّهادة ردّ عليه: «لن نتركك تموت لتكون شهيدا يا كلب»[2]. أيضا "فاروق الخيّال" الذي قلع له السّجّان خمسة من أظافره، فقد الأمل في بقاءه على قيد الحياة، يقول: «كنّا ننتظر جميعا الموت، لم يكن لديّ أيّ تصوّر أنّي سأخرج حيّا من المُعتقَل، كلّ ما كنّا نتمنّاه هو أن نموت بسرعة»[3].

كلّ هذه التّصريحات التي صرّح بها المعتقَلون تجعلنا نفهم لماذا يخاف الشّعب السّوري من الاعتراض على الوضع القائم في البلاد. والضّبّاط كانوا يعتقلون النّاس بسببٍ وبدون سبب، لا يهتمّون إن كان هذا معارضا للنّظام أو مؤيّدا له، المهمّ فقط هو زرع الخوف في نفوس الشّعب، وقد راح ضحيّة هذه السّياسة الكثيرون، من بينهم "هيثم سقباني"، اعتُقِل بلا سبب، وعُذِّب بلا سبب، وهو الآخر وصل إلى درجة فقدان الأمل في النّجاة والعيش من جديد، «كنت متأكّدا من أنّي سأموت...، اعتقدت أنّ كلّ من يدخل هنا يموت... تصوّرت أنّه لن ينجو أحد»[4].

لا يمكن تصوّر ما مرّ به هؤلاء المعتقَلون، حتّى اتّفقوا جميعا على كلمة واحدة وهي الموت، الكلّ كان يُريد الموت، الكلّ فقد الأمل في النّجاة، وهذا يوضّح لنا بشاعة الوضع في سوريا. من ثمّ نجد حالة الاغتراب والشّعور بفقدان الأمل، طبيعيّة جدّا.

---

1 – الرّواية، ص213.

2 – الرّواية، الصّفحة نفسها.

3 – الرّواية، ص217.

4 – الرّواية، 294.

3.2 صدمة الوعي:

بعد أن كان "يزن" عاجزا عن اتخاذ موقفه إزاء الثّورة، ورافضا لفكرة وحشيّة النّظام وحقيقته المرّة، وبعد أن اطّلع على كلّ الشّهادات التي صرّح بها معتقلون بعد الإفراج عنهم، وهذا ما كان مانعا نفسه عنه منذ زمن، تعرّت الحقيقة من زيفها، ولم يعُد هناك ما يُخفى، فخضع "يزن" إلى الأمر الواقع ولم يبق على موقفه الأوّل، «وإنّها لمعضلة أن يتقبّل الإنسان مصيره ويرضخ للأمر الواقع، وبخاصّة إذا ما رافق ذلك إحساس بالظّلم والمهانة»[1]، وهذا ما حدث مع "يزن".

معرفة "يزن" لحقيقة النّظام سبّب له صدمة، خصوصا بعد آخر شهادة استمع لها، وفي هذا السّياق يقول: «ما قالته جوري كان يتجاوز قدرتي على التّحمّل. شعرت بعقلي يحاول أن ينسى بعض ما قالته، شعرت بشيء في داخلي يقول لي أنتَ لم تسمع هذا. اِنس هذه الجملة من ذاكرتك. وهذه أيضا. لم تسمع شيئا...، للأسف كان وعيي أقوى من حِيَل اللاوعي هذه»[2]. بمجرّد أنّه تيقّن من إمكانيّات السّجون السوّرية، وما يُفعل داخلها من جرائم، صُدِم. هو الذي أمضى حوالي عشرين سنة من عُمُره يختبئ من هذه الشّهادات، ومن حقيقة النّظام يُصدم بعد أن تلقّى جرعة صغيرة مما مرّ به آلاف المعتقلين.

سبّبت صدمة الوعي لـ "يزن" اختلاطا في المشاعر، ولم يُدرك ما العمل، «بقيت لفترة ساكنا، لا أتحرّك، يغمرني شعور بائس بتعاسة يائسة. شعرت أنّي أكره كلّ شيء. كلّ شيء. كانت السّاعة قد تجاوزت منتصف اللّيل، ولم أعرف كيف سأنام وكيف سأستيقظ، وكيف يمكن لأيّ شخص

1 – حليم بركات، الاغتراب في الثّقافة العربيّة، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص83.

2 – الرّواية، ص334.

سمع هذا أن يُواصل حياته بعد ذلك كما لو أنّ شيئا لم يكن»[1]. نعم كيف يمكن لشخص استمع، أو شاهد، أو قرأ القليل ممّا حدث في السّجون السّوريّة أن ينام مرتاح البال.

صدمة الوعي لدى "يزن" جعلته يترنّح بين التّكذيب والتّصديق بخصوص ما قالته "جوري" صاحبة آخر شهادة، فراح يقول: «ربّما كانت تكذب. سأقنع نفسي أنّها تكذب. هي تكذب بالتّأكيد...، لماذا هي كاذبة؟ لأنّ ذلك سيكون مُريحا لي. هذا فقط يجعلني أكذّبها...، الصّوت وطريقة الحديث والتّفاصيل كلّها تشير إلى صدقها...، إذن جوري لم تكن تكذب للأسف. وهذا العالم تحدث فيه هذه الأشياء المروّعة»[2]. كان يُحاول أن يجد ما يدلّ على كذبها، لكن للأسف توصّل إلى صدقها، وتوصّل إلى السّبب الحقيقي الذي جعل "أنس" ينتحر، يقول: «أفهم الآن تماما لماذا انتحر أنس. الآن اكتملت الصّورة...، لم يستطع أن يتعايش مع كلّ ما عرفه. بتفاصيل التّفاصيل. مع عجزه عن تغيير ذلك»[3]. وهذا فعلا ما يكسر الإنسان، أن يُدرك كلّ ما يجول حوله من تجاوزات لكنّه يجد نفسه عاجزا عن التّغيير.

ظهرت مشاعر الاغتراب في الرّواية بشكل متفاوت، من شخصيّة إلى أخرى، باختلاف كلّ شخصيّة والشّعور الذي تفاقم عندها. والمشاعر الناتجة عن الاغتراب لا تقتصر فقط على العجز، وفقدان الأمل، وصدمة الوعي، فإنّ هناك مشاعر أخرى يُحدثها الاغتراب ويترك أثرها مترسّخا في نفس الإنسان.

1 – الرّواية، ص334.
2 – الرّواية، ص334، 335، 336.
3 – الرّواية، ص336.

خاتمة

تتشكّل الكتابة في أدب السّجون كنتيجة طبيعيّة لكلّ ما مرّ به المساجين، من ضرب، وتعذيب، وتنكيل، واحتقار، وقهر، وذلّ، واغتصاب، فلن يصل صوت أولئك المعذّبين إلّا من خلال الكتابة، الكتابة التي وجدوا فيها حرّيتهم المسلوبة، وعن طريقها يمكنهم أن يوصلوا صوتهم الدّفين داخل تلك الجدران. ومن خلال دراستنا للمفارقة في أدب السّجون، تحديدا مع رواية "بيت خالتي" لـ "أحمد خيري العُمري" توصّلنا إلى النتائج التّالية:

بعد النّظر في المفارقات اللّفظية في رواية "بيت خالتي" اتّضح أنّها جاءت لتُداريَ المعنى الحقيقي، فمرّة كان سببها الخوف من النّظام فكانت قناعا توارى خلفها الشّعب السّوري. ومرّة جاءت بشكل استهزاء؛ اعتمدها الضّبّاط للسّخرية من الشّعب ذاته. أمّا المفارقات الموقفيّة فجاءت لتوضّح المواقف المتناقضة داخل الرّواية. وبالتّالي كِلتا المفارقتين (اللّفظيّة والموقفيّة) أحدثتا غموضا لدى المتلقّي، وعليه سيسعى جاهدا للاهتداء إلى معناها.

ومنه فإنّ أسلوب المفارقة ليس مجرّد وسيلة فنّية يتّبعها الكاتب كتقنية من تقنيات السّرد الرّوائي، وإنّما هي أبعد من ذلك، إذْ هي غاية يحاول من خلالها إيقاظ وعي القارئ، وتحفيزه للبحث عن الحقائق المضمرة.

يمكن القول إنّ التّناقضات الواردة في رواية "بيت خالتي"، من مظهر وحقيقة، وحِياد وثورة، وموت وحياة وغيرها؛ ما كانت لتظهر إلّا تحت غطاء المفارقة، فذِكر هذه التّناقضات مجتمعة لا يوحّدها إلّا عنوان المفارقة، وبالخصوص المفارقة الموقفيّة؛ إذْ إنّ إبراز تلك التّناقضات يفاجئ المتلقّي، كما يمنح النّص الرّوائي عمقا فنّيا.

بما أنّ الاغتراب حالة نفسيّة تنتاب الإنسان جرّاء تجارب حياتيّة قاسية تُشعر الإنسان بالعزلة، فلا يجد هدفه من الحياة، يتخبّط بين واقعه الذي هو رافض له، وأحلامه التي يطمح أن

يصل إليها. فإنّ المفارقة تأتي كأسلوب فنّي يُبرز ذلك التّعارض، وهذا ما ظهر بوضوح في رواية "بيت خالتي"، فأسلوب المفارقة جاء ليسلّط الضّوء على العزلة التي عاشتها شخصيّات الرّواية.

أثّرت تجربة السّجن في رواية "بيت خالتي" في بنيتها السّرديّة؛ وظهر ذلك مع الصّراع الذي عاشته الشّخصيّات بين الألم والأمل، وبين القيد والحرّية، وكذلك حالة الاغتراب التي وصلت إليها.

ختامًا، نرجو أن تكون هذه الدّراسة قد أحاطت بموضوع المفارقة وتمثّلها في أدب السّجون. وكذلك نرجو أن تفتح هذه الدّراسة، سبيلا أمام بحوث أكاديميّة أخرى، في مجال أدب السّجون والبحث فيه، والتّعمّق أكثر.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم رواية ورش.

➢ **المصادر:**

1. أحمد خيري العُمري، بيت خالتي، عصير الكتب للنّشر والتوزيع، ط1، 2020.

➢ **المراجـــــع باللغة العربية:**

1. أحمد عادل عبد المولى، بناء المفارقة "دراسة نظريّة تطبيقية، أدب ابن زيدون نموذجا"، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2009.
2. أحمد مختار البرزة، الأسر والسّجن في شعر العرب "تاريخ ودراسة"، مؤسّسة علوم القرآن، ط1، دمشق، بيروت، 1985.
3. سناء حامد زهران، إرشاد الصّحة النفسيّة لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، عالم الكتب، (د.ط)، القاهرة، 2004.
4. شعبان يوسف، أدب الّجون، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 2014.
5. تقي الدّين أبو بكر الأزراري، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت، 1987.
6. حليم بركات، الاغتراب في الثّقافة العربية "متاهات الإنسان بين الحُلم والواقع"، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، بيروت، 2006.
7. صلاح الدّين أحمد الجماعي، الاغتراب النّفسي الاجتماعي وعلاقته بالتّوافق النّفسي والاجتماعي، دار زهران للنّشر والتّوزيع، ط1، عمان، 2010.
8. عبّاس محمود العقّاد، عالم السّدود والقيود، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، (د.ط)، القاهرة، 2013.

10. عبد اللّطيف محمد خليفة، دراسة في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للنشر والتّوزيع، القاهرة، 2003.

11. واضح الصّمد، السّجون وأثرها في الآداب العربيّة من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، بيروت، 1995.

- **المراجع المترجمة:**

1. دي.سي.ميوك، موسوعة المصطلح النقدي "المفارقة، المفارقة وصفاتها، التّرميز، الرّعويّة"، المجلّد الرابع، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسّسة العربية للدّراسات والنشر، ط1، بيروت، 1993.

- **المعاجم:**

1. الرّازي أحمد أبو بكر، مختار الصّحاح، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، 1986.

- **المجلات:**

1. سامية محرز، المفارقة عند جيمس جويس وإيميل حبيبي، عيون المقالات، ع2، 1 أبريل 1986.

2. سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، ع2، مجلة فصول، 01 مارس1982.

3. عبد الرّحمن منيف، رأي وشهادة حول القمع، مجلة فصول، ع3، 01 يوليو 1992.

4. قيس النّوري، الاغتراب.. اصطلاحا ومفهوما وواقعا، عالم الفكر، ع1، 01 أفريل 1979.

5. مامون عبد الوهّاب، تحريشي عبد الحفيظ، ثالوث الحبّ، الاغتراب والسّجن في الرّواية الحواريّة: رباعيّة الدّم والنّار لعبد الملك مرتاض، مجلّة لغة– كلام، مجلّد07، ع02، 02 مارس2021.

6. نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، ع3-4، 01 سبتمبر 1987.

- **الرسائل الجامعية:**

1. محمد بن عبد الله الأحمد، حكم الحبس في الشريعة الإسلامية، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير، كلّية الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة بمكّة المكرّمة، جامعة الملك عبد العزيز، السّعوديّ، 1979.

2. ولد الصّديق ميلود، الاغتراب السّياسي في الوسط الطّلابي دراسة حالة المجتمع الطّلابي لجامعات الجنوب الجزائري، رسالة دكتوراه، كلّية العلوم السّياسية والعلاقات الدّولية، جامعة الجزائر 3، 2012-2013.

- **المواقع الالكترونية:**

1. الشّيخ علوي بن عبد القادر الشّقاف وآخرون، الموسوعة الفقهية، موقع الدّرر السّنية على الإنترنت dorar.net، 1433هـ.

ملحق

ملخّص الرّواية:

تندرج رواية "بيت خالتي" لـ "أحمد خيري العُمري" ضمن أدب السّجون، وتتحدّث عن السّجون السّوريّة التي صُنّفت بالأبشع عالميا. تتضمّن الرّواية خمس عشرة شهادة عيان لأشخاص اعتُقِلوا ووَثّقوا معاناتهم، منهم من صرّح باسمه الكامل، مثل "لولا الأغا" و "عمر الشّغري"، ومنهم من تخفّى وراء اسم غير اسمه.

جاء في الرّواية قصّة "يزن"، الشّاب السّوريّ، الذي يعمل طبيبا نفسيّا في ألمانيا، وابن خالته "أنس" هو الآخر يقطن بألمانيا، لكن لا يلتقيان ببعضهما البعض بحكم مكان إقامتهما المختلف، وظروف عملهما.

يتفاجأ "يزن" في أحد الأيّام بموت "أنس" مشنوقا في شقّته، فيحاول أن يُحلّل الأحداث ليعرف ما إن كان موته انتحارا، أم جريمة من جرائم النّظام. وخلال رحلة بحثه يتعرّف على "نور"، الصّديقة المقرّبة لـ "أنس"، فتُخبره عن تفاصيلَ من حياة "أنس" لم يكن على دِراية بها مسبقا، مثل أنّه ترك كلّية الطّب وصبّ كل اهتمامه على فيلم وثائقي يتحدّث عن بشاعة النّظام السّوري. وأنّه دخل مصحّة عقليّة بعد أن اشتغل على ذلك الفيلم.

يُصاب "يزن" بالدّهشة لما عرِفه عن "أنس" لأنّه كان ذكيّا وإيجابيّا مفعمًا بالحياة، لذلك انتابه الفضول ليعرف محتوى الفيلم، وهنا كانت الصّدمة، إذْ إنّه تفاجأ من بشاعة وفظاعة التّصريحات التي صرّح بها المعتقَلون. ومن خلال خِبرته كطبيب نفسيّ، توصّل إلى أنّ سبب انتحار "أنس" هو إصابته باكتئاب جرّاء ما سمع، ورأى، وعاش، مع تصريحات المعتقلين.

فهرس

المحتويات

إهداء ....
مقدمة 1
مدخل نظري: دراسة مفاهيميّة. 6
1. السِّجن 7
2. أبعاد السّجن 8
3. أدب السّجن 10
4. المفارقةّ. 12
5. الاغتراب 15
الفصل الأول: تجلّيات المفارقة في رواية بيت خالتي. 18
1. المفارقة اللّفظيّة 19
1.1 المستوى الدّلالي 20
2.1 المستوى البديعي 27
2. المفارقة الموقفيّة 29
1.2 مفارقة المظهر والحقيقة 30
2.2 مفارقة المحايدة والثّورة 32
3.2 مفارقة السّجن والحرّيّة 36
4.2 مفارقة الموت والحياة 39
الفصل الثّاني: السّجن والنّزعة الاغترابيّة في رواية بيت خالتي. 43
1. تجلّيات الاغتراب في الرّواية 44
1.1 الاغتراب الاجتماعي 45
2.1 الاغتراب النّفسي 46
3.1 الاغتراب السّياسي 50

4.1 الاغتراب المكاني..... 53

2. المشاعر النّاتجة عن الاغتراب..... 56

1.2 العجز. 57

2.2 فقدان الأمل..... 61

3.2 صدمة الوعي 63

خاتمة 65

قائمة المصادر والمراجع 68

ملحق..... 72

فهرس المحتويات..... 74